الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الخامسة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤١ هـ - كانون الأول ٢٠٢٠م

العدد
٤١٢

كلمة الوعي

لبنان كيان فاشل، أنشأته فرنسا، ويجب محاكمة ماكرون على كل مآسيه... والحل بـ «إعادة الكيان إلى أصله جزءًا من بلاد المسلمين، وإعادة الحكم بالإسلام إلى أهله»

صراع الحضارات! حتى لا تذوب الحضارة الإسلامية وتضمحل وتذوي! ص٨

غربة الإسلام وتجديده وحزب التحرير ص٢٧

شيَّبَتْني هودٌ ... فاستقمْ كما أُمِرْتَ ص٣٤

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

- **كلمة الوعي:** لبنان كيان فاشل، وفرنسا هي المتهم الأول فيه، ويجب محاكمة ماكرون على كل مآسيه... والحل بـ «إعادة الكيان إلى أصله جزءًا من بلاد المسلمين، وإعادة الحكم بالإسلام إلى أهله» ٣
- صراع الحضارات! حتى لا تذوب الحضارة الإسلامية وتضمحل وتذوي! (٢) ٨
- الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية للحياة (٢) ١٨
- غربة الإسلام وتجديده وحزب التحرير (١) ٢٧
- شيَّبَتْني هودٌ ... فاستقمْ كما أُمِرْتَ (١) ٣٤
- أخبار المسلمين في العالم ٤٢
- قرآن : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه (١) ٤٦
- رياض الجنة: بُعِثَ النبيُّ ﷺ على أشدِّ حالٍ بُعِثَ عليه نبيٌّ من الأنبياءِ ٤٩
- **كلمة أخيرة:** السعودية تعمل على محو تاريخها الثقافي الإسلامي الثري الممتد واستبداله بتاريخ قومي منقطع ٥١
- **غلاف أخير:** مضاوي الرشيد: ابن سلمان يخشى أن يقتل داخل القصر ٥٢

العدد ٤١٢

السنة الخامسة والثلاثون
جمادى الأولى ١٤٤١هـ
كانون الأول ٢٠٢٠م

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

بسم الله الرحمن الرحيم

لبنان كيان فاشل، وفرنسا هي المتهم الأول فيه، ويجب محاكمة ماكرون على كل مآسيه... والحل بـ «إعادة الكيان إلى أصله جزءًا من بلاد المسلمين، وإعادة الحكم بالإسلام إلى أهله»

خلال الانتداب الفرنسي للبنان، وفي الأول من أيلول/سبتمبر ١٩٢٠م، أعلن المندوب السامي للانتداب الفرنسي الجنرال هنري غورو إنشاء دولة لبنان الكبير من قصر الصنوبر، وقد سمي بـ (لبنان الكبير) لأنه سلخَ المدن الساحلية ومناطق الشمال ووادي البقاع وسفوح سلسلة جبال لبنان الشرقية من بلاد الشام وضمَّها إلى مناطق متصرفية جبل لبنان، وكان هذا في إطار مشروع استعماري جديد تقوده كل من فرنسا وبريطانيا يقضي بتقسيم أراضي الدولة الإسلامية عقب الحرب العالمية الأولى بينهما بموجب اتفاقية سايكس بيكو، والتي لم يكن إنشاء كيان مُحتل على أنقاض فلسطين برعاية هذا الخارج بعيدًا عنها. وكان أهل هذا الكيان الجديد يتوزعون على مجموعات طائفية منقسمة في رؤيتهم لهذا البلد انقسامًا عميقًا، وكان أبرز هذه المجموعات: النصارى الموارنة، الذين كان همهم الأساسي الاستقلال عن المحيط الإسلامي الطاغي وتأمين حمايتهم من فرنسا والتطلع إلى طريقة عيشها بعيدًا عن النظام الإسلامي. والسنّة الذين رفضوا الانفصال عن جسد الدولة الإسلامية؛ لأن الانفصال يعارض أحكام دينهم الذي يجعلهم أمة واحدة مع سائر المسلمين، ويجعل بلادهم واحدة، ورفضوه كذلك لأن هذا الكيان الجديد سيكون ذا طابع مسيحي، ويصنَّف على أنه وطن أقليات بينما هم جزء من أمة طويلة عريضة عريقة. وهناك الدروز الذين كانوا في حالة عداء وجودي مع الموارنة... وهكذا أصبح لبنان بجهدٍ بسيط وتمثيلية مكشوفة وادعاء زائف مشروع دولة مستقلّة قائمة على التناقضات، من صناعة الاستعمار الفرنسي الجديد. ومن صور هذه التناقضات المضحكة المبكية في آن معًا، أن من أهله من كان ولا يزال يستهزئ بالاستقلال ويتهم رجالاته بالعملاء للاستعمار الفرنسي، ويصفون أرزته بالقرنبيطة على اعتبار أن لا مقدس عندهم في دينهم إلا الله وما جعله لهم مقدسًا... بينما يعتبرها الآخرون شعارًا مقدسًا ويصفونها بـ «أرز الرب»... وهكذا. ومن المعلوم بداهة أن الأصل في التكوين الطبيعي للدول أن تقوم مجتمعاتها على الفكر والنظام والشعور المتجانس، لا على المنازعة، ولبنان لم يقم كيانه على اختلاف تنوع وإنما قام على اختلاف تناقض وتنازع بين أطرافه، وهذا التناقض مع التدخلات الخارجية المتنازعة قد عمقت أزمته شيئًا فشيئًا حتى وصل إلى ما وصل إليه من حال النزع الأخير.

ويمكن القول هنا إن لبنان بدأت مشاكله الطائفية تظهر منذ أواخر أيام الدولة الإسلامية، أي قبل إنشائه، فيما عرف بـ«المسألة الشرقية» نتيجة التدخل الأجنبي، ومن ثَمَّ قام تكوينه على أساس طائفي، وهو استمر على ذلك، واستمرت معه الحروب والمنازعات الداخلية الطائفية التي لم تتوقف (من ١٨٤٠م، إلى ١٨٦٠م، إلى ١٩٥٨م، إلى ١٩٧٩م، إلى ١٩٩٠م، إلى ٢٠٠٥م، إلى

يومنا هذا). حتى الإعلان عن لبنان الكبير سنة ١٩٢٠، فإن نظرة غورو إلى تاريخ لبنان كانت هي النظرة المارونية المسيحية التي تركّز على تاريخه الفينيقي. وكذلك لم يكن الإعلان عن الاستقلال سنة ١٩٤٣م بعيدًا عن هذه المسحة الطائفية البغيضة، بل كان تركيزًا لها ومحاولة لإعطائها شكلًا محميًا بالشرعة الدولية والتدخلات الأجنبية، وقصارى القول، فإن كل هذه المنازعات والحروب الداخلية والمحطات السياسية كان للتدخلات الأجنبية الخارجية اليد الطولى في إيجادها وإشعالها والتحكم بها وإدارتها وإدامتها، وحتى كان لكلّ طائفة راعيها الخارجي، وأصبحت حروبه هي حروب الآخرين على أرضه. وهذا الكيان الذي قام على المنازعات الطائفية منذ ما قبل وجوده ككيان بفعل التدخلات الأجنبية لم يخرج عن ذلك فيما بعد.

وهذا العام، وبعد مئة سنة على إعلان لبنان الكبير، وتحديدًا في الأول من أيلول/سبتمبر ٢٠٢٠م، نرى أن التاريخ يعيد نفسه، فقد أتى الرئيس الفرنسي ماكرون إلى لبنان، وفي قصر الصنوبر نفسه الذي لا يزال مقرّ إقامة السفير الفرنسي في بيروت، أتى ليعلن فشل هذا الكيان، وهو بدل أن يعتذر عما سبَّبته بلاده من مآسٍ طيلة مئة عام لأهل هذا البلد من كل طوائفه نتيجة سياستها الاستعمارية، أتى ليجتمع مع ممثليهم، والذين يتفق معظم اللبنانيين على وصمهم بالفساد، وليبحث معهم في إنقاذ البلد، جاعلًا الخلاص بهم لا التخلص منهم... ولكنه بدل أن يعتذر أخذ يلقي باللائمة على صنائعه الفاشلين. فجريمة إقامة هذا الكيان على هذا الشكل تعتبر فرنسا هي المتهم الأول فيه ويجب محاكمتها عليه؛ علمًا أن تاريخ فرنسا الاستعماري في العالم، وليس في لبنان فقط، هو تاريخ بغيض ومجرم يقوم على استعمار الشعوب ونهب خيرات البلاد.

ما بين الإعلان الأول والإعلان الثاني، عاش لبنان أكبر كذبة في تاريخه هي كذبة الاستقلال (هذه السنة لم يحتفل لبنان بعيد استقلاله لأنه يبدو وكأنه وصل إلى نهاية هذه الكذبة)... **وعاش كذبة** أنه بلد التعايش وأن تنوعه الطائفي هو نموذج يحتذى به، وكم ردَّدوا مقولة الملك فيصل أنه لو لم يكن لبنان موجودًا لتوجَّب علينا إيجاده، مع أن هذا التنوُّع، مع التدخلات الخارجية، كان سبب كل مآسيه، هذه التدخلات التي بقيت تتحكم في انتخابات رئاسته طيلة مئة سنة والتي كان السياسيون خلالها يرتبطون بمعظمهم بالخارج لحماية مراكزهم لا طوائفهم... **وعاش كذبة** أن حدوده نهائية، مع العلم أنه لا حدود نهائية لأي دولة في العالم. فحدود الدول بالتركيبات القائمة عليها إنما هي قائمة على حدود منتزعة من دول أخرى، وكلنا نعرف كيف أن حدود دول سايكس بيكو كانت قائمة على شحطات قلم رصاص، لم تراعَ فيها سوى مصلحة الدول الاستعمارية التي أقامت كل كيان مع ألغامه المقصود زرعها فيه لتفجيرها ساعة تقتضي مصلحتها ذلك، وليبقى وجودها فيه في مأمن من خطر الانقلاب عليه... **وعاش** حالة دائمة من التجييش الطائفي تمنعه أن يشكل دولة لحمة وتضامن وتآلف ورعاية، بل عاش حروبًا وفتنًا أهلية خربَّت البلاد وقتلت

العباد وعطَّلت الأعمال وعمَّقت الشقة بين طوائفه، وكان يحتاج بعد كل حرب وفتنة إلى إعادة إعماره وإعادة دورة الأعمال فيه من جديد، وكان ينتقل معها في كل مرة إلى صيغة جديدة من التعايش، لا تقضي على أساس المشكلة بل تؤسس لدورة جديدة من الاقتتال الطائفي الأهلي كما حدث، وهو مرشح لأن يتكرر طالما أن هذه هي الذهنية التي تسيطر على المشهد السياسي في لبنان... وهو اليوم يعيش دوَّامة الفتنة نفسها (القديمة الجديدة) من التدخل الخارجي (أمريكي - أوروبي) وإن أنتجت أي جديد فستكون صيغة فاشلة أخرى. وكل هذه الصيغ تقوم على قانون أن هناك غالبًا ومغلوبًا (ميثاق الـ٤٣ وضع لبنان بيد النصارى، والطائف في يد (السنّة)، ويأمل (الشيعة) اليوم بصيغة المثالثة لمصلحتهم)... لقد لُفَّ هذا الكيان المصطنع بألف إطار وإطار من التكاذب الذي جعل منه قدس الأقداس، بينما هو كيان فاشل لم ينجح في تشكيل هويَّة موحدة له، ونظامه السياسي هش، وسياسيوه أمراء حرب وطوائف لا حكام بلاد، وجُباة لا رُعاة. نعم، لقد وصل اليوم النظام السياسي في لبنان إلى نهايته. ولقد كتبت رئيسة التحرير المشاركة في صحيفة «لوريان لوجور» الناطقة بالفرنسية إيميلي سويور: "بقيت بضع دقائق قبل منتصف ليل نهاية لبنان، لكن منتصف الليل لم يحن بعد... نحتاج الى عجيبة» هذا الكلام الخطير يفيد أن نظام لبنان يحتضر وهو في النزع الأخير، ويفيد أيضًا أن لبنان لا يعاني أزمة حكم فحسب، بل يعاني أزمة نظام، بل أزمة وجود...

أما عن المشاريع التي تطرحها الأطراف المتنازعة في لبنان اليوم من أجل حل أزمة لبنان التي وصلت إلى الحضيض على كل صعيد، فهناك صيغة حكم طائفية جديدة تقوم على (المثالثة) التي تعني غلبة (الشيعة) هذه المرة، وهذه الصيغة ستؤسس لفتنة طائفية جديدة. **وإذا حدث هذا،** فإن الذي سيرعاه خارجيًا هو الولايات المتحدة الأمريكية كطرف خارجي يمسك بأطراف اللعبة، وإيران كلاعب إقليمي ستوكل إليه أمريكا مهمة رعاية هذه الصيغة وإمدادها بالحياة وجعلها أحد أذرعها لقضاء مصالحها وتحقيق نفوذها. **وإذا حدث هذا** تكون دورات العنف الطائفية التي لفت تاريخ لبنان من موارنة إلى (سنَّة) إلى (شيعة) قد تكاملت؛ لذلك نقول إنه لن يكون حل أزمة الحكم في لبنان إلا بالخروج من أشكال الصيغ الطائفية البغيضة، فالمسألة لا تتعلق بصيغة تعاقدية ويجب تجديدها، بل بصيغة استعمارية مستمرة في فشلها ويجب الانتهاء منها.

ومن المشاريع المطروحة كذلك، هو الحل العلماني المدني لشكل الدولة العابر للطوائف، وقد رأينا ظهور مروِّجيه من منظمات المجتمع المدني بأسماء متعددة، وقد صاحب ظهورها ما سمي بـ (ثورة الأرز)، وهي تدعو إلى الخروج من عباءة الطائفية، وهي متهمة بالتبعية للسفارات الأجنبية... وبما أن التحول من الحكم الطائفي إلى المدني ليس أمرًا ميسورًا الآن ويحتاج إلى وقت، فقد تلجأ أمريكا عندها إلى الحل عبر مراحل تبدأ أولًا بالرضى بـ(المثالثة) وسيكون حلًا تابعًا لها وتحت سيطرتها، على اعتبار أن إيران تتبع في سياستها لأمريكا، و(الشيعة) في لبنان

تسيطر على حزبهم الرئيسي إيران. وهذا الحل ستظهر أمريكا فيه أنها ضده؛ لأنها تُظهر نفسها أنها ضد إيران. **ثم تنتقل إلى المشروع الثاني، وهو البعيد**، وهو المتعلق بالصياغة الأمريكية النهائية للمنطقة من ضمن ما يسمى الشرق الأوسط الجديد، وهو النظام المدني الفيدرالي، وهذا يقتضي أن تهيئ له أحزابه السياسية العلمانية التي تخوض الانتخابات التشريعية وتدخل في الحياة السياسية وتصل فيه إلى قمة الحكم. أما موضوع الفيدرالية فإنه بدأ يطرح على الأرض، وهو كسائر ما يطرح في المنطقة، ففي العراق الفيدرالية موجودة فيه (سنة-شيعة-أكراد) من غير إعلان رسمي لها، وفي سوريا لا يبدو الأمر بعيدًا عما نقول، وفي لبنان هو شبه مؤَّمن، وقد تأسس وجوده في الحروب الداخلية والصيغ الطائفية التي سبق وتكلمنا عنها.

صحيح أن الحل المدني الفيدرالي لا يفرق بين الطوائف وعابر لها، ويخلص البلد من خضَّاته الطائفية... ولكنه يقوم أولًا على عقيدة (فصل الدين عن الحياة) وهي عكس ما تقوم عليه عقيدة أهل المنطقة وهي الإسلام، وهذا لن يرضى به المسلمون، لا في لبنان ولا في المنطقة، ويقوم على التبعية لأمريكا ولدول الغرب الرأسمالي التي تقوم سياستهم الخارجية على السيطرة على دول العالم وعلى استغلال الشعوب ونهب خيراتها... وهنا لا بد من تسجيل ملاحظة أن النظام الطائفي الذي يشكو الناس منه هو بالأصل صناعة غربية بامتياز، والغرب بمختلف دوله هو الذي يسيطر على المشهد السياسي فيه، وسياسات الدول الكبرى هي النافذة فيه، وحكامه عملاء له، إذًا هو لن يختلف من حيث العمالة ورهن مقدرات البلاد عما يطرح من جعله نظامًا علمانيًا مدنيًا، فأمريكا لن تغير نظرتها الاستعمارية للبنان ولسائر دول المنطقة مع أي طرح الجديد، كل ما سيتغير عند أمريكا هو أنها تريد أن تبعد أهل المنطقة عن دينهم، وأن يسهل عليها قيادة المنطقة أكثر. فالإسلام هو المقصود عند أمريكا أما سياستها الاستعمارية فلن تتغير أبدًا.

ثم لينظر أهل لبنان إلى سياسة أمريكا ودول الغرب الرأسمالي في العالم، فإنها تقوم حصرًا على الاستعمار السياسي (التبعية والعمالة) والاستعمار الاقتصادي (الخضوع لسياسة القروض الربوية الخارجية) فلبنان ليس وحده من هو واقع في أزمة المديونية من بين دول المنطقة بل كل دول المنطقة واقعة في هذا الجُبِّ، وإنما هو متقدم فيه على غيره، وبالتالي فلا مخرج من كل ذلك إلا بالانعتاق من النظام الرأسمالي المتغوِّل؛ لذلك فإن ما يطرح من حلول منها الحل العلماني المدني فإنه لن يخرج لبنان من أزمته، وهو في جانبه الأساسي متعلق بأزمة النظام الرأسمالي كنظام حياة، **وليراجع** أهل لبنان تاريخ هذه الدول الاستعماري وتاريخ الهيئات السياسية الدولية التي تسيطر عليها أمريكا كمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة والمنظمات التي ظاهرها إنساني ولكن باطنها من قبله شقاء الاستعمار بمختلف وجوهه الخفية الخبيثة... **وليراجعوا** تاريخ المنظمات والهيئات الاقتصادية من مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وسياساتها الاستعمارية ليس على المسلمين فحسب بل على كل دول العالم التي تصنف بدول

العالم الثالث...

إن الحل الحق في لبنان هو ذلك الحل القائم على النظام الإسلامي، ولسنا نقول ذلك من باب طائفي ولا متحيِّز، بل من باب العلاج الذي يحمل الخير ليس للمسلمين في هذه الحياة فحسب، بل للمسلمين ولغيرهم، وليس في لبنان فحسب بل في العالم كله.

إن في الإسلام أنظمة حياة للإنسان كإنسان بغض النظر عن دينه أو عرقه أو جنسيته أو لونه، وهو قد طُبِّق سابقًا ونجح، وما زالت أحكامه صالحة لمعالجة كل مشاكل الحياة، فلا استعمار، ولا ربا ولا احتكار، ولا تجارة حروب ولا نهب خيرات الشعوب، والمال فيه تَمنع أحكام الإسلام أن يتجمع بيد فئة قليلة من الناس على حساب فقر الآخرين؛ إذ فيه نظام الميراث الذي يفتت المال ويوزعه ولا يجعله متجمعًا بيد قلة احتكارية تتحكم باقتصاد العالم وسياسات الدول... وفي النظام الإسلامي يقوم النقد على قاعدة الذهب؛ وهذا ما يجعل النقد في مأمن من الهزات والخضات التي تخرب البيوت. وفيه يعامل المسلم وغير المسلم من رعايا الدولة الإسلامية على قدم المساواة أمام النظام العام، وهناك أحكام الملكيات التي توزع الثروات الضخمة على كل رعايا الدولة الإسلامية، المسلمين منهم وغير المسلمين، وفيه نظام معاشات البطالة، وفيه وجوب استثمار المال في الحياة وعدم جواز كنزه، ومن إحدى وجوه استثماره هو وجود أحكام الشركات التي تجعل الفقير في جزء كبير منها شريكًا للغني. حيث تشترك الخبرة مع المال. وأهم من كل ذلك أن النظرة للمال في الإسلام هو لخدمة الناس وقضاء حوائجهم والتقرب إلى الله فيه لا لاستعبادهم، ولا لاستعمارهم، كما هو الحال في الغرب الشقي.

ولسنا نعلن عن جديد عندما نقول إن الغرب نفسه يعتبر أنه قد وصل إلى نهاية التاريخ الرأسمالي، وأنه على شفا التغيير بعد أن فشل حضاريًا فشلًا ذريعًا... وهناك الكثير الذي يقال في هذا المجال، وما على الذين يريدون الخير لأنفسهم ولأهاليهم ولشعوبهم إلا أن يوسعوا دائرة تفكيرهم ويروا الأمور على حقيقتها ويخرجوا أنفسهم من سحر الدعاية الغربية الخادعة.

إن الغرب مع مصلحته فقط ولا تهمه الشعوب ولا مستقبلها، فليس أمام أهل لبنان إلا حل صحيح واحد، وهو الحل الإسلامي، أي أن يكون جزءًا من المنطقة، وعندها سيأمن أهله إن شاء الله على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم وديارهم... فلا قتل ولا خراب في كل فترة من الزمان. وإننا لنبذل هذه النصيحة للمسلمين ولغير المسلمين، وإنه لكائن بإذن الله، وسيعم خيره الجميع. فالأمة تسعى إليه منذ عشرات السنين، وهي تقترب منه شيئًا فشيئًا بعون الله، والأوضاع في لبنان وفي بلاد المسلمين وفي العالم كله هي بهذا الاتجاه...إن هذا الحل يقف في وجهه دعاية غربية خادعة ماكرة تصور الإسلام على أنه إرهاب، وتصور الغرب على أنه هو المخلِّص، وأن عنده الترياق بينما الحقيقة هي على عكس ما يقول... ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

صراع الحضارات! حتى لا تذوب الحضارة الإسلامية وتضمحل وتذوي! (٢)

ثائر سلامة، أبو مالك

من البدَهي أن أي أمة من الأمم تمتاز على غيرها بسموٍّ مجموعة القيم والعقائد والتصورات والتشريعات التي تشكل حضارتها وطريقة عيشها عن أمة أخرى لم تشاركها ذلك السموَّ، وبذا تحقق الأمة الإسلامية خيريتها ورفعتها على غيرها من الأمم! ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. وإننا، بعد النظر والتدبر، لم نرَ عقيدة حية تمثَّلت في نظام حياة وطريقة عيش، وتبلورت منها مجموعة القيم الرفيعة السامية السامقة، بصورة انتفت منها التناقضات، إلا ما كان في العقيدة الإسلامية والتشريع الربَّاني!. وأما باقي الحضارات فقد عجَّت بالتناقضات، وبالتصورات المغلوطة، وسيطر بها قويُّها على ضعيفِها، وحملت لواء الجاهلية والفساد والاستعمار والاستعباد والدمار للبشرية. فكان الوعي على هذه الحقائق من أخطر ما على الأمة الإسلامية، وهي تتلمس طريقها للنهوض وتقطع فيه أشواطًا بعيدة، أن تقف عليه!.

ولا يظننَّ ظانٌّ أن الحضارة عالمية تتوارثها الأمم، حتى إذا ما حطَّت رحالها في الغرب وأفرغت حمولتها من رصيد تراكم الخبرات البشرية بلغت ذروتها وأضحت القبلة التي يجب أن يتوجه إليها الباحثون عن السعادة والرقي... لا يظننَّ ظانٌّ هذا، إذ يرى «إشبنجلر» (١٨٨٠-١٩٣٦)م أنّ «لكلّ حضارة كيانها المنعزل عن غيرها من الحضارات، وكلّ منها يكوِّن وحدة أو دائرة مقفلة بنفسها. وما يشاهَد من تشابه في الموضوع بين حضارة وحضارة فهو تشابه في الظاهر، لأنّ كلّ حضارة تعبير عن روح، والروح تختلف بين حضارة وحضارة. وإذا اشتركت العناصر الخارجيّة المؤثِّرة في حضارتين تقبَّلت كلّ منهما هذه العناصر على نحوٍ مباين كلّ المباينة للنحو الّذي تتقبّل عليه الحضارة الأخرى هذه العناصر؛ لأنَّ كلًّا منها لا تستطيع أن تهضم هذه العناصر إلاَّ إذا أحالتها إلى طبيعتها. وهكذا تبطل أوهام المؤرِّخين عن التأثير والاستمرار والوحدة التاريخيّة»[١].

وها هو «توينبي» «يرفض فكرة وحدة الحضارات التي يرى أنّها فكرة أملتها آراء المؤرِّخين الغربيّين الخاطئة التي استمدُّوها من بنيتهم من نظرتهم الخادعة التي أرادوا بها أن يحقِّقوا نظامًا اقتصاديًا غريبًا على العالم بأسره طبقًا للنموذج الغربيّ بالذات، توطئة لتوحيده سياسيًا على النمط الغربيّ. فالمؤرِّخون الغربيّون لا سيّما المحدَثون منهم يرَون أنَّ هناك منبعًا أساسيًّا للحضارة هو المنبع الغربيُّ؛ لذا فهم ينتهون، بحكم نظرتهم هذه، إلى وحدة الحضارة العالميّة»[٢].

١- برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط - تعريب نبيل صبحي - بيروت - د.ت - ص ٤٨٣

٢- محيي الدين إسماعيل - توينبي ، منهج التأريخ وفلسفة

وكذلك يعترض صاموئيل هانتنغتون على الذين يقولون «إنَّ الحضارة الغربيّة هي حضارة كونيّة كلِّيَّة تناسب كلَّ الناس» بقوله: «إذا كان صحيحًا على المستوى السطحيِّ أنّ الحضارة الغربيّة تخلَّلت حقًّا باقي العالم، فإنَّ المفاهيم الغربيّة، على مستوى أساسيٍّ بدرجة أكبر، تختلف بصورة أساسيّة عن تلك السائدة في الحضارات الأخرى. فالأفكار الغربيّة عن الفرديّة والليبراليّة والدستوريّة وحقوق الإنسان والمساواة والحريّة وحكم القانون والديمقراطيّة والأسواق الحرّة وفصل الكنيسة عن الدولة، ليس لها عادة، جاذبيّة كبيرة في الثقافات الإسلاميَّة والكونفوشيوسيَّة واليابانيَّة والهندوسيَّة والبوذيَّة أو الأرثوذكسيَّة... إنّ المفهوم القائل إنّه يمكن أن تكون هناك «حضارة عالميّة» هو نفسه فكرة غربيّة تتناقض بصورة مباشرة مع خصوصيّة معظم المجتمعات الآسيويّة وتركيزها على ما يميّز شعبًا عن آخر»[٣].

وممّا يقوله مثلًا «نيقولاي دانيليفسكي» الروسي (١٨٢٢-١٨٨٥)م: «ليس هناك حضارة واحدة، وإنمّا هناك طُرز من الحضارات لكلٍّ منها خصائصُها ومميِّزاتُها. والتاريخ البشريُّ في مجموعه لا يسير في خطٍّ مستقيم يتَّبع اتّجاهًا واحدًا ونزعة بذاتها، وإنَّما هو في الحقيقة مكوَّن من حركات مختلفة الاتِّجاهات تتبع خطوطًا متباينة وتكشف عن وجهات أو قيم كثيرة خلال الطرز المختلفة من الحضارات. ولكلِّ حضارة قيمها الخاصَّة»[٤]. ويقول «موريس كروزيه»: «أمّا أن نكون أمام حضارات متعدِّدة لا حضارة واحدة ليس بينها ما يدَّعي الرئاسة المحتومة، فهذا أمر مسلَّم به اليوم بين علماء الأجناس البشريَّة والمؤرِّخين والعلماء الاجتماعيين، إذ يُقرُّ هؤلاء بالإجماع أنَّ لكل جماعة بشريَّة على شيء من النظام، حضارتها الخاصّة، حتى أنَّ للأقوام المتوحِّشة حضارتها الخاصّة بها. كذلك من الأمور المسلَّم بها اليوم عدم الأخذ بالنظريّة الضيقة التي تقول بتاريخ واحد للحضارة»[٥].

ومما نقوله نحن، بأن أمة امتلكت هذه الحضارة السامقة الراسخة بقيمها ومُثُلها وتصورها وتشريعاتها، لا يمكن أن تتنازل لتأخذ وتستقي من حضارات قائمة على الاستعمار ونهب خيرات الشعوب، والعنصرية والجشع الرأسمالي أي قيمة أو تشريع مهما كان!

وبنظرة متفحصة للحضارات نشوءًا وارتقاءً، نرى أن الحضارات تقوم على أسس تحدد لمن يتحضر بهذه الحضارة وجهة نظر في الحياة، قد تكون هذه الأسس نتاج عقيدة عقلية كما هو الحال في العقيدة الإسلامية أو في العقيدة الرأسمالية، أو قد تكون هذه الأسس نتاج موروثات من العادات

٣ صدام الحضارات - ص ٣٣-٣٤ نقلاً عن نشوء الحضارة الإسلامية للأستاذ أحمد القصص.

٤ نقلاً عن : محمّد فتحي عثمان - مدخل إلى التاريخ الإسلاميّ - دار النفائس، بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٢ - ص ٤٧٦

٥ تاريخ الحضارات العام - م١ - ص ١٨، وأسس النهضة للأستاذ أحمد القصص، و نشوء الحضارة الإسلامية للأستاذ أحمد القصص

والتقاليد والنظم التي يحيا عليها مجتمع ما، أو بمفاهيم اعتنقها أصحاب القوة في مجتمع ما، وفرضوها على الناس، فتمثَّلت في حياتهم، فإنْ فشل أصحاب القوة في إقناع الناس بها بقيت تركيبة مجتمعهم هشة، لا تتحول مع هشاشتها هذه الأفكار إلى أن تكون حضارة، كحال الشيوعية في نموذج الاتحاد السوفياتي البائد، وفي كلتا الحالتين الأوليين، حدَّدت له حضارته وجهة نظر في الحياة، ومفهومًا معينًا للسعادة، ومقاييس يقيس عليها سلوكه وتصرفاته، وبالتالي فلا بد لكل حضارة من مجموعة من المصطلحات والمفاهيم المنبثقة عن عقيدتها، وأيديولوجيات ذات منطلقات محددة مترابطة نشأت نتاج حل العقدة الكبرى، فهي ومصطلحاتها ومفاهيمها المنبثقة عن عقيدتها، والقيم التي تسعى لتحقيقها كلٌّ منسجم يهدف إلى إيجاد نمط معين من العيش يحياه من يؤمن بهذه الحضارة. وبالتالي فلا يبحث عن التشابه في الفروع إلا من لم يقف على بنية الحضارات الفكرية وقيامها على أيديولوجيات ذات منطلقات محددة مترابطة، لا يمكن أن يوفّق بينها في أصولها إلا أن يغير في أساسها الذي قامت عليه أي في عقيدتها وفكرتها الأساسية، ولا في فروعها لأن هذه الفروع منبثقة عن تلك الأصول وتعمل خادمًا لها من أجل ضمان الوصول إلى هدف الحضارة من إيجاد نمط معين من العيش لتحقيق قيم معينة في ذلك المجتمع الذي يحيا تلك الحضارة. ومن أخذ الفروع منفصلة عن أصولها، ووضعها في منظومة فروع حضارة أخرى، لم يزِدْ على أن أوجد عناصر غريبة في تركيبة الحضارة الثانية لا توصل إلى غاياتها ولا تحقق للمتحضرين بها السعادة، بل تضعهم في دوامة التناقضات.

وبنظرة متفحصة لنظام الإسلام، نجده منظومة متكاملة له طبيعة اقتضت تميُّزه، وأعطته شخصية متميزة مستقلة، فهو ينظم حياة الإنسان، «لا في الحياة الدنيا وحدها؛ ولكن كذلك في الدار الآخرة، ولا في عالم الشهادة وحده؛ ولكن كذلك في عالم الغيب المكنون عنها، ولا في المعاملات المادية الظاهرة وحدها؛ ولكن كذلك في أعماق الضمير، ودنيا السرائر والنوايا، فهو مؤسسة ضخمة هائلة شاسعة مترامية، ولا بد له إذًا من جذور وأعماق بهذه السعة والضخامة والانتشار أيضًا»[٦] من هنا كان دخول الباطل في منظومة الحق هذا مفسدًا لها، ولا يشدُّ من أزر بعضها، كان دخوله معطِّلًا لانتظامها، معطِّلًا لعمل أنظمتها التي تتكامل بعضها مع بعض لتحقيق غاياتها، كجسم غريب تزرعه في النظام فيشتغل النظام في حل المشاكل الناتجة عن ذلك الجسم الغريب، بدلًا من أن يستمر في التفاعل والانتظام والإنتاج والتكامل والنبض بالحياة!... كان دخول الباطل في هذه المنظومة معطِّلًا لغاياتها من تحرير البشر من عبادة البشر، فيكرسها، مخالفًا شروط الحق من

٦ سيد قطب، معالم في الطريق ص ٣١-٣٢، والفقرات التالية مستفادة من كتاب معالم في الطريق، بتصرف كبير فيها.

الكفر بالطاغوت أولًا، مكرسًا للإيمان بالطاغوت بدلًا من الكفر به!؛ لذا نجد أن موقف الحق من الباطل صارم، إذ بدأ الإسلام وسط ركام هائل من نتاج الحضارات الأخرى، الفرس وشعرهم، واليونان وأساطيرهم وماورائياتهم وآلهتهم وأنظمتهم المجتمعية والسياسية، واللاهوتيون وفلسفتهم، والهنود وتصوفهم وآلهتهم؛ لكنه لم يأخذ من هذا كله ولا مثقال ذرة أو أدنى من ذلك أو أكثر، لا تصورات عقدية، ولا أنظمة حياة!... جاء الحق بغاية لا يمكن تحقيقها بالأخذ من قيم الحضارات الأخرى، تلك هي رضوان الله تعالى، وجزاؤه على الأعمال الجنة، ووعده بالنصر والتمكين والاستخلاف لمن آمن وعمل صالحًا، جاء ملزمًا باستقاء الأوامر والنواهي من الوحي حصرًا، فالإسلام لا يؤخذ إلا من الوحي حصرًا، والحساب لا يكون إلا على اتباع الوحي أو الإعراض عنه حصرًا، والأمر باتباع الوحي حصرًا، والهداية لا تكون إلا بما نزل به الوحي حصرًا، ولا مكان للعقل في التشريع إلا الفهم والاستنباط، والأحكام لا تتبدل بتغير الزمان والمكان، كيف والرسول صلى الله عليه وسلم لا يحق له أن يبدله من تلقاء نفسه، فكيف بمن هم دونه صلى الله عليه وسلم؟؛ لذا كان من أخص مقتضيات المنهج الإسلامي فرض عزلة شعورية كاملة مع الجاهلية ونظمها، خاصة مع أعلى مراحلها المتمثل بالطاغوت؛ إذ الموقف منه موقف كفر خالص، عزلة عن الصلات بالمجتمع الجاهلي وقيمه وعرفه، واتصال وثيق بالقيم الإسلامية، وتجرد وانخلاع كامل عن تصورات الجاهلية والباطل والطاغوت، وولاء تام للحق وقضيته، يتخلله تمحيص ينقي الحق وأصحابه عن الباطل، يميز به الخبيث من الطيب!

المنهج الإسلامي يوضح أن الحق لا ينتصر بالباطل، فيختلط على الناس؛ إذ عادة ما تبدأ الاستعانة بالباطل أنملة فشبرًا فذراعًا فباعًا، بل ينماز الحق عن الباطل بصفته القوية المتجسدة فيه بوصفه الحق، بقيمه التي يريد بها هزيمة الباطل، فلا يكتفي بالاستغناء المطلق عن الباطل، بل يعلن حربه الشاملة عليه حتى يخلعه من جذوره! فالحق أبلج، واضح ساطع، محجة بيضاء ناصعة لا رماد فيها ولا سواد، يطلب من أهله أن ينتزعوا أنفسهم من حظوظ أنفسهم، فيتحملوا المشاق والأذى، ويصبروا، ويصابروا، ويرابطوا، مؤمنين بوعد الحق بالنصر للحق، مستسلمين استسلامًا تامًا كاملًا لله ومنهجه، فهذا الاستسلام التام من مقتضيات الإيمان.

بهذا الاستسلام، أبطل الشرع الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وعادات الجاهلية وقيمها، وقياداتها وصناديدها في لمحة عين من المجتمع الذي نشأ على نقيض ذلك قبل الإسلام، ولولا ذلك، لما أبطل شيئًا منها إلى يومنا هذا؛ لذلك، يجب أن يحارب المسلمون بكل شراسة أي محاولة لتمييع الإسلام، وأي محاولة لأخذ أي قيم من حضارات أخرى، أو أديان أخرى، أو ثقافات أخرى، لقد جاء الإسلام بمنهج حركي عملي واقعي شامل متكامل

ليحكم الحياة وليغير نظرة الإنسان ويضبط سلوكه، عبر الحكم والسلطان والتمكين والاستخلاف؛ لتقوم الحضارة الإسلامية بتحقيق العدل والإنصاف، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، ليسعد الإنسان في الأرض ويحقق الوظيفة التي خلق لأجلها!

وبنظرة متفحصة نجد أن الأمة الإسلامية بعد أن سقطت دولتها، ولم يعد التشريع الإسلامي يحدد لأبنائها سلوكهم إلا في إطار ضيق، فإنها قد وقعت ضحية محاولة الحضارة الغربية السيطرة عليها وتذويب شخصيتها وطمس معالمها، وخلط حقها بالباطل بعد أن عجزوا عن حربه بتقديم بديل فكري أو حضاري له، ونهب ثرواتها، بل ومحاولة إفنائها؛ لذلك، وفي غربتها تلك عن شريعتها، لاحظنا أنها -في لحظة مهمة من تاريخها أواسط القرن العشرين- قد شكَّت في صلاحية شريعتها للتطبيق، وفي قدرتها على النهوض لبناء حضارتها من جديد، وبرزت طائفة منها تريد التدرج في حرب الباطل بسلوك طريق يستعين بالباطل بعض الطريق، وما فطنوا أن هذا المنهج بالغ الخطورة، بالغ الحرمة، ينبي عن ضعف التصور والاعتقاد، ويبتعد عن معدن فهم الشريعة وطبيعتها، وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، من هنا تكمن أهمية هذا الكتاب الذي يحاول أن يقدم للأمة الإسلامية شريعتها بشكل عملي تطبيقي يبرز مزاياها ويعدد محاسنها، وخصائصها ومقوماتها، وفعاليتها في التجسد في الواقع، وطريقة خوضها لصراع الأفكار الباطلة، ويقارن ذلك كله بما في الحضارة الغربية من تشريع ومقومات وأيديولوجيا؛ لأن الضد يظهر حسنه الضد!

بعض ملامح آثار الفوضى التشريعية، وهيمنة الحضارة الغربية على العالم الإسلامي

لو أنعمنا النظر في التحولات الخطرة التي أسبغتها هيمنة الحضارة الغربية وتسلطها اليوم في العالم وعلى البشرية، والتي أعادت هيكلة الإنسان في هذا العصر وفق رؤية علمانية ميكانيكية، أرخت العنان لنسج حياته وفق ماكينة مادية بحتة، فَصَلَتْهُ عن ذاته، وسحقت كينونته، ليتمظهر إنسانًا غريبًا عن إنسانيته، معرضًا عن إله السموات خالق الكون والإنسان والحياة، وعن فردوس السماء الموعود جزاءً على إحسان العمل في هذه الحياة، مقبلًا على عبادة آلهة أرضية جديدة، محجوبة بغطاء العلمانية والحداثة حينًا، وستار التقدم التقني حينًا آخر، تَعِدُهُ بفردوسٍ أرضيٍّ تسوسه الرغبات والشهوات الهائجة، وتعظيم اللذات، فأورثته هذه النظرة الأرضية ضنك المعيشة، وشقوة الروح[٧]، وخواء الفكر، وحيرة ولا أدرية تسربل بها، ولم يعد يبالي!.

لو أنعمنا النظر أكثر لوجدنا انقلابًا كاملًا على مفاهيم الثقافة والحضارة بتفريغها التام من كل قيمة ومعنى، ومن كل بعد إنساني يمثل سُلَّم القيم الاجتماعيّة والمعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والتقاليد والفلسفة وباقي المواهب والقابليّات والعادات المميزة

٧ الدكتورة كريمة دوز: الوثنية الجديدة: الأشكال الجديدة لعبادة الإنسان الحديث بتصرف.

للمجتمعات، وتحويلها إلى القيمة المادية والمنفعة الآنية واختزالها في زيادة الإنتاج والتسويق والربح فقط، ومراكمة الكم على الكم، من سلع ومعدلات إنتاج واستهلاك، حتى غدا الاختراع هو أبو الحاجة، وتحوَّل الإنسان نفسه ليكون سلعة، أو مادة دعائية لترويج سلعة لا يزيد ثمنها عن ربع دينار! وتحولت المجتمعات من أن تكون كيانات ثقافية تتجسد قيمها في نمط عيشها إلى مجموعات استهلاكية، لم تلبث طويلًا بعد خوائها الفكري الثقافي الحضاري ذلك، والذي صاحبه إذكاء لنار العنصرية والتفرقة والتناحر والإفناء، حتى دارت فيما بينها رحى حروب ودماء تسفك لها أول وما لها آخر، وانبهر الناس بالتقدم التكنولوجي على حساب التراجع الشديد في مجال القيم الإنسانية، ولم تتمكن العلوم والتقنية من حل مشكلات العالم، ولا أفضت لتفسير معنى الوجود، ولم تزد اللاأدريين إلا مزيدًا من الشك والتِّيْهِ والوَحشةِ والحيرة والصدود؛ لذلك، نجد أن العلمانية لم تجب على الأسئلة المصيرية للإنسان، فكانت أوّل مبدأ في تاريخ البشرية يقوم على تجاهل قضية الإنسان المصيرية، مما أنتج حضارة الشقاء والقلق؛ حيث يعيش الإنسان جاهلًا بكينونته وصيرورته. يقول كولن ولسون في كتاب (سقوط الحضارة): «أَنْظُرُ إلى حضارتنا نظري إلى شيء رخيص تافه، باعتبار أنها تُمثل انحطاط جميع المقاييس العقلية». ويقول المؤرخ أرنولد توينبي: «إن الحضارة الغربية مصابة بالخواء الروحي الذي يُحوّل الإنسان إلى قزم مشوّه يفتقد عناصر الوجود الإنساني، فيعيش الحد الأدنى من حياته، وهو حد وجوده المادي فحسب، والذي يُحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف، ويُحول حياته إلى جحيم مشوب بالقلق والحيرة والتمزق النفسي». ويقول الكاتب والسياسي الفرنسي أندري مالرو: Malraux «حضارتنا هى الأولى في التاريخ، التى إذا طرح السؤال الأهم «ما معنى الحياة؟»، أجابت «لا أعرف" على مدى القرن، فشلت كل محاولات الإجابة"![٨] على الرغم من أن هذا السؤال لصيق بالفكر الإنساني، وشرط أساسي لإدراك كينونة الإنسان كي لا يقع في الخواء الفكري، والفراغ الأخلاقي، والشذوذ السلوكي. ولقد أدى هذا الخواء الفكري والفراغ القيمي، والإفلاس الحضاري الذي أوصلت الحضارةُ الغربيةُ العالمَ اليومَ إليهِ إلى تهديد غير مسبوق للبشرية يكاد يصل بها إلى حافة الهاوية على حد تعبير سيد قطب رحمه الله، فإن البشرية لا يمكن لها أن تحيا وتعيش وتعمر الأرض خاوية من القيم، سائرة على غير هدى بغير مصباح ينير لها دربها لتدرك فيه رسالتها في الحياة، ووظيفتها في الوجود، بما يحقق للإنسان إنسانيته، وللمجتمع علاقاته الصحية السليمة، فلم يعد لدى الغرب ما يقدمه إلا حقوق الشوَّاذ، والانفلات الأخلاقي، والتباعد الاجتماعي، والتفكك الأسري، والترهل الرعوي للدولة،

٨ أنظر مقالة بعنوان: الفاتحة: من الله.. لله.. إلى الله.. الكاتب: ياسين بن علي. والدكتورة كريمة دوز: الوثنية الجديدة: الأشكال الجديدة لعبادة الإنسان الحديث بتصرف.

وسوء الرعاية الصحية والنفسية، حتى انتشرت الأمراض النفسية والعقلية بشكل مرعب في الدول الغربية.

وحين يقدم الغرب «قيمه» للبشرية ويصارعها للإقرار بها، فإنها تتجسد بأفظع صور الاستعمار، فمثلًا تتمحور «حقوق الإنسان» لديهم في إطار السوق الحرة لا الحقوق الاجتماعية، فبحسب توماس فريدمان، كبير مراسلي الشؤون السياسية في صحيفة النيويورك تايمز، فإن الموجِّه الرئيسي لسياسة بوش في حرب الخليج، ينبع من أنه «إذا لم تحترم الحدود السياسية بين الدول ذات السيادة فإن الفوضى ستحكم العالم»، ويوضح فريدمان: «إن نصر أمريكا في الحرب الباردة كان نصرًا لمجموعة من المبادئ السياسية والاقتصادية تقوم على الديمقراطية وحرية السوق» وفي النهاية سيفهم العالم أن «السوق الحر هو المستقبل، ذلك المستقبل الذي تمثل فيه أمريكا صمَّام الأمان والنموذج الذي يحتذى»[٩]

والأمريكان يغلفون دعواتهم بغلاف نشر الديمقراطية وحقوق الإنسان، مثل منع التعذيب والضرب والقتل وتحسين أمن الناس، هكذا في خطاباتهم التي يروجون بها لمبادئهم؛ ولكن المتعمق في فكرهم الليبرالي الذي يمثله منظرو البنك الدولي وصندوق النقد يدرك أن الحقوق يجب أن تتمحور حول الأسواق الحرة وسيادة القانون، من قبل الحكومات التي تُفْرَضُ من قبل الاحتلال، لا الحقوق الاجتماعية أو توفير الحاجات الاجتماعية، **ففكرة حقوق الإنسان تتمحور في إطار ضرورات الإمبريالية الليبرالية والتجارة العالمية الحرة، وتشريع القوانين التي تخدمها.**[١٠]

يقول جون بيلجر «لقد تسبب بيل كلينتون، وجورج بوش، وتوني بلير وأسلافه من المحافظين في إلحاق الوفاة في العراق لعدد من الناس يزيد على عدد الذين قتلوا بواسطة جميع أسلحة الدمار الشامل في التاريخ، وفقًا لما انتهت إليه دراسة أمريكية» فكيف يمكن أن نصدق دعواهم بالحرص على حقوق الإنسان وهم أكثر من أهدرها وضيَّعها وحاربها!.

لم تقدم الحضارة الغربية للبشرية إلا التفرد والتوحد، والركض وراء المال والشهرة، والظن بأن التقدم التقني هو السبيل لرفاهية العيش، تلك الرفاهية التي قوام ميزانها أن يزيد الأثرياء غنًى، والفقراء فقرًا، تلك الرفاهية التي زادت قدرة الدول الاستعمارية استعمارًا ونهبًا للخيرات، وتركت باقي أمم الأرض نهبًا للأطماع وتحت رحمة أباطرة الدكتاتورية، وغلاة الاستعباد وسوء الرعاية!

لم يعد بمقدور الغرب أن يواري سَوْءَته، فهو أول من يهضم حقوق المرأة، حين يزكم أنوف العالم بالدفاع عن حقوقها، دون أن يقدم رؤية صحيحة - بل ولا حتى أي رؤية - لدور المرأة في المجتمع والأسرة والحياة، ويكفي أن ترى حجم التفاوت في أجور النساء

٩ النظام العالمي القديم والجديد لنعوم تشومسكي ص ١٧

١٠ الإمبرياليون الجدد أيديولوجيات الإمبراطورية كولن مويرز ص ١٣٨

مقارنة بالرجال في كل الديمقراطيات الغربية، ويكفي أن ترى التفكك الأسري والشقاء الذي تكابده النساء والرجال على حد سواء في تلك المجتمعات، والإحصائيات الموثقة لنتيجة تطبيق أنظمتهم واضحة للعيان وتري حجم المأساة التي تكرس العنصرية وسوء معاملة أصحاب البشرة الداكنة، ومحاربة فرنسا للباس المرأة المسلمة ومنعها من التعليم والعمل في كثير من المجالات، واتخاذ المرأة سلعة لترويج المنتجات!

يكفي أن ترى -مثلًا- كيف تنهب فرنسا قارة أفريقيا جهارًا نهارًا لتحافظ على بقائها في نادي الدول العظمى، ولك أن تفكر كيف أنه خلال الخمسين سنة الأخيرة، ومن إجمالي ٦٧ انقلابًا تمَّ في ٢٦ دولة في أفريقيا، كان نصيب المستعمرات الفرنسية السابقة حصول الانقلابات في ١٦ دولة تابعة لها، بمعدل حصول ٦١٪ من الانقلابات في دول أفريقيا الفرانكوفونية؛ لتبقى الحكومات التي تحكم تلك الدول في قبضة فرنسا، ولتمنع أي رئيس منتخب من أن يُخرج تلك البلاد من قبضتها الحديدية!

وسنة بعد سنة تبتز فرنسا من أفريقيا ما يزيد على خمسمائة مليار دولار[١١] سنويًا، كما صرحت الدكتورة أريكانا، مبعوثة الاتحاد الأفريقي للولايات المتحدة؛ وذلك ليكون معدل الناتج القومي لفرنسا في حدود التريليون ونصف سنويًا، وهي التي لا تنتج إلا العطور وطائرات الإيرباص! فمن أين لك هذا! في حين أن السعودية التي تنتج عشرة ملايين برميل نفط يوميًا، لا يكاد يصل ناتجها القومي أقل من نصف تريليون سنويًا! فتأمل! وبعد نحو سنة من وصوله قصر الإليزيه، وتقلّده منصب رئاسة فرنسا، أي سنة ٢٠١٣م، قال الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا هولاند: «فرنسا، مع أوروبا، تود أن تكون أكثر مشاركة في مصير أفريقيا»، أي أن بلاده مازالت تسعى للتحكم في مصير الأفارقة لوقت أطول. وقبل ذلك بسنوات، في مارس/آذار سنة ٢٠٠٨م، صرّح الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك قائلًا: «دون أفريقيا، فرنسا ستنزلق إلى مرتبة دول العالم الثالث" وقد سبقهما في ذلك سلفهما فرانسوا ميتران حيث قال عام ١٩٥٧م، قبل أن يتقلد منصب الرئاسة: «دون أفريقيا، فرنسا لن تملك أي تاريخ في القرن الواحد والعشرين»[١٢]. فهذه هي قيادة الحضارة الغربية للبشرية، قيادة استعمار وحروب ونهب للخيرات، ونشر للفقر والتطاحن حتى يبقى العالم الثالث ثالثًا، لا ينهض ولا يتمتع بحياة!

لقد كانت الأمة الإسلامية حاملة مشعل الهداية والحضارة والعلم والرفاهية بين الأمم كافة، ثم إنه في البداية، كانت المواجهة الشرسة بين الدولة الإسلامية وبين النصارى

١١ Dr Arikana - FRANCE STEALS $500BILLION FROM AFRICA VIA "Pact For The Continuation of Colonisation.

١٢ "فرانس أفريك".. كيف تنهب فرنسا خيرات أفريقيا منذ أكثر من نصف قرن؟ عائد عميرة، وحفصة جودة، نون بوست. و١٤ دولة أفريقية ملزمة بدفع ضرائب لفرنسا، ساسة بوست، محمد عبد المنعم.

الأرثوذوكس، ممثلين بالدولة البيزنطية، ومن ثم انضم الكاثوليك إبان الحروب الصليبية الأولى إلى الأرثوذوكس في حربهم، وما كادت الحروب الصليبية تنتهي إلا وكان البروتستنت قد انضموا لهم، وها هو التاريخ يعيد نفسه، فينضم إلى ركبهم اليهود، والهندوس، والصينيون، بل إنك لا تكاد تجد أمة في الأرض إلا وتداعت على أمة لا إله إلا الله. وإن تعجب، فعجب أن ترى دخول الروس الشيشان إبان تحررهم من شيوعيتهم التي كانت تعتبر النصرانية أفيون الشعوب، وإذ هم يرفعون شعارات الأرثوذكس وصلبانهم على دباباتهم التي تجتاح الشيشان، وتجتاح الشام وليبيا، والمسلمون فاغرو الأفواه، لا يملكون حيلة ولا سبيلًا! فهل من سبب جَرَّأَ روسيا الحقد رأس الضلالة والإرهاب، والعالم الغربي الجشع الكافر الذي ما زال يعيش بعقلية القرون الوسطى الظلامية، على العالم الإسلامي بهذا الشكل الفج القذر، وبكل أشكال الإبادة الممنهجة إلا لعلم الغرب بغياب الحامي والدرع الواقي للأمة الإسلامية ألا وهو الخلافة، وإلا بسبب تفرقها شذر مذر؟!

ثم بعد قرون متصلة من ملاحم الصراع بين العالم الإسلامي وبين الغرب على وجه الخصوص، أذنت شمس المسلمين التي سطعت على أصقاع الأرض بالغروب، فأضحت بلاد المسلمين تموج بموجات استعمار عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي؛ إذ تمكن الغرب من إقصاء نظام الإسلام عن الحكم، ومزَّق الأمة الإسلامية بضعة وخمسين كيانًا كرتونيًا، وسيطر على مقدراتها وثرواتها، ونصب نفسه قدوة لها ومثالًا، الأمر الذي نتج عنه وصول المسلمين إلى الحضيض في الهبوط **الروحي، والتخلف المادي والتأخر الفكري والانحطاط السياسي، وتفشى التعسف والظلم والجور في البلاد، وتقطعت أواصر الإخاء بين المسلمين لتحل بينهم روابط القومية والقبلية والوطنية والطائفية الضيقة،** وما من يوم يمر عليهم بعد هدم خلافتهم، إلا وهو قاتِمُ الأعماق أسودُ النَّواحي، مظلمٌ شديدُ الحُلْكَةِ، مُخَضَّبٌ بدماء المسلمين، وأعراضهم، ونهب خيراتهم، وتسلط رعاعهم وطواغيتهم عليهم، واستباحة بيضتهم، وتسلط عدوهم، لا تسمع فيه إلا صراخ اليتامى، ونوح الثكالى، وقهر المقهورين، وأنين المظلومين، وقرقرة بطون الجائعين، فهل أوصل خير أمة أخرجت للناس إلى هذا المكان المنكود بين الناس إلا بُعدُها عن تطبيق شرع ربها؟ **قال تعالى:** ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾!...

لقد أعمل أعداء الأمة في جسدها، وأعملت الأمة في إعراضها عن شرع ربها في جسدها الأمراض والبلايا، فانتشر السرطان فيها انتشار النار في الهشيم، وأي كلام في أعراض المرض دون معالجة أصل الداء جريمةٌ في حق المريض لا تزيد السرطان إلا استفحالًا، وأي عمل لا يصب في معالجة أصل البلاء، لا تقرب الأمة من حل مصائبها شبرًا بل تباعدها عنه أميالًا!

وقد نزلت بالأرض كلها طوام الأحكام

الوضعية، ودَهَتْهَا دَاهِيَةَ الجَاهِلِيَّةِ، وأقْصِيَتْ عنها جُلُّ الأحكامِ الشَّرْعِيَّةِ، ولم يتبق في أيدي المسلمين من أحكام الإسلام إلا بعض أحكام العبادات والأحوال الشخصية، وهُدِمَتْ دولةُ الحَقِّ، واقْتَحَمَتْ دَوْلَةُ البَاطِلِ العَقَبَةَ، وغَشِيَت الأَرْضَ سنينٌ ذَاتُ مَسْغَبَةٍ، فَرَتَعَ الظَّالِمُونَ، وأفْسَدَ المُفْسِدونَ، وَأَرْجَفَ المُرْجِفُونَ، وارْتَقَى الظُّلمُ مُرْتَقًا صعبًا، وغُيِّبَ الحقُّ، وغِيْضَ الخَيْرُ، وعَمَّ الشَّرُّ، وَسَالَتِ الدِّمَاءُ انْهَارًا، وَانْتُهِكَتِ الأَعْرَاضُ جهَارًا نَهَارًا، وَأَقْلَعَتِ السَّمَاءُ، وانْتَفَشَ الباطلُ وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، واسْتَنْسَرَ البُغَاثُ بأرضِنا، واشْرَأَبَّ النفاقُ، وفسدت الأخلاقُ.

وقد تَكَالَبَتْ عَلَيْنَا الأُمَمُ تَكَالُبَ الأَكَلَةِ إِلى قَصْعَتِها، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، فَأَعْمَلُوْا سُيُوْفَهُمْ، وَرَاجِمَاتِ حِقْدِهِمْ، وَحِمَمَ نِيْرَانِهِمْ فِيْ جَسَدِ الأُمَّةِ، وَنَصَبُوا عَلَى الأُمَّةِ شِرَارَهَا حُكَّامًا، وَفُجَّارَها وزراءَ، وَأَكَابِرَ مُجْرِمِيْهَا جُبَاةً وَقُضَاةً وَمُخَابَرَاتٍ، فَكَتَمُوا الأَنْفَاسَ، وَنَهَبُوا الخَيْرَاتِ، وَأَضْحَتْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وأُحِيْطَ بِها، كَالْمُنْبَتِّ لا أَرْضًا قَطَعَ ولا ظَهْرًا أَبْقَى! ولم يبقوا لخيار الناس إلا فتات الموائد، وضنك العيش، وحاربوا الأمة في طريقة عيشها، وعقائدها، ورموها بقذائف باطلهم ليخمدوا أنفاس الحق في صدورها. وقد أضحت خيرات الأمة نهبًا لأعدائها، فلا تسلْ عن النفط المنهوب ولا عن المال المسلوب، ولا عن الحق المغصوب، كيف ودماء الأطفال أضحت وقودًا لانتقام أعدائها منها، فهدمت المساجد نسفًا، وسيمت البيوت خسفًا، وفلذات الأكباد قتلًا وحرقًا، وشردت العائلات في أصقاع الأرض يستجدون لقمة ومأوى، وهم خير أمة أخرجت للناس!

وقد أضحت جيوش الأمة بأمر حكامها سيفًا مُصلتًا وسهامًا مُسَلَّطة على رقابها، سلمًا لأعدائها حربًا على أوليائها، فاغتصبت المقدسات، واغتصبت العفيفات، وانتشرت الرذيلة ولا تجد من يجرؤ على الإنكار، واضمحلت الفضيلة، **وهذا كله صار واضحًا للمسلمين وضوح الشمس، يدركونه كما يدركه غيرنا من أبناء الأمم الأخرى.**

لقد مرت على الأمة فترة ذهلت فيها عن عظمة شريعتها، وباتت في شك من صلاحيتها للتطبيق، وشكَّ في أن صلاح أمرها لا يكون إلا بتطبيق هذه الشريعة، وراحت تستورد الدساتير والقوانين من الشرق والغرب، (كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول) مما استوجب على الأمة أن تنهض وتبادر لأخذ الأمر على محمل الجد، فقد بلغ السيل الزبى، وآذن فجر الانعتاق عن التبعية للغرب ومحاربة أفكاره وسيطرته وحضارته بالإشراق، لقد آن للأمة أن تلتف حول قيادة **حزب التحرير** ليأخذ بيدها لتعيد تطبيق شريعة ربها، وإقامة الحضارة الإسلامية على ما قامت عليه من أسس على يد خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته النجب!.■

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضارة الرأسمالية وفساد نظرتها الداروينية للحياة (٢)

الساريسي المقدسي - بيت المقدس

أساس الحضارة الرأسمالية:

قامت الحضارة الرأسمالية على قاعدة فكرية أساسية عن الكون والإنسان والحياة وهي فكرة العلمانية أو فصل الدين عن الحياة. وهذه القاعدة الفكرية شكَّلت وجهة النظر الرأسمالية عن الحياة - أو الأيدولوجية - وهي النفعية والبراغماتية، وانبثق عنها جميع الأنظمة الرأسمالية في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والعلاقات الدولية ... إلخ. وحين ننظر إلى هذه القاعدة الأساسية في الحضارة الرأسمالية ألا وهي العلمانية، ونحاول فهم المرتكز الذي انطلقت منه، لا نجد لها تأسيسًا فكريًا رصينًا، بل نجدها انطلقت من زاوية غير فكرية، ولم تُبنَ على مبادئ العقل ومسلماته وبديهياته - على عكس ما يُتوقع من أي قاعدة فكرية أساسية في أي مبدأ - فنجد هذه القاعدة الفكرية للرأسمالية قد قامت على فكرة الحل الوسط بين أطراف متنازعة: الفلاسفة والمفكرين والعلماء من طرف، ثم القياصرة والملوك والكنيسة من طرف آخر، وتم حل هذا الصراع الأوروبي بين هذين الطرفين باعتماد العلمانية كأساس يفصل الدين عن الحياة.

إذًا، فالحل الذي اتفق عليه الفريقان بعد الصراع العنيف بينهما، كان مبنيًا على رد فعل لمشكلة أوروبية تاريخية خاصة، وكان لا بدَّ لهم من إيقاف هذا الصراع بأي ثمن، فلم تكن العلمانية حلًّا فكريًّا مؤصَّلًا مبنيًّا على العقل والتفكير في أساس الحياة وفي أصل الكون والإنسان، فلم تكن حلًّا نتج عن تفكير عميق في حل العقدة الكبرى حلًّا صحيحًا مقنعًا للعقل وموافقًا للفطرة. فقد تم القفز عن منهجية القاعدة العملية الطبيعية في التفكير بالانتقال من الإحساس إلى التفكير ثم القيام بالعمل من أجل غاية، فهذا لم يحدث؛ ولذلك كانت عقيدة الحل الوسط العلمانية مختلَّة الأسس والجذور حتمًا.

لقد كانت العلمانية رد فعل غريزي بعد الإحساس بالمشكلة العميقة التي مرت بها أوروبا، نتيجة تحكم القياصرة والملوك بشكل مطلَق فيهم، تحت شعار **الحق الإلهي** الذي كانت تعطي فيه الكنيسةُ الشرعيةَ للحكام، ونتيجة تعسُّف محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة بالعلماء والمفكرين، أرادوا التخلص من هذا الظلم والاستبداد باعتماد حل عملي، وهو فصل الدين عن الحياة، أو فصل الكنيسة عن الدولة وعن التدخل في شؤون الحياة العامة؛ ومن أجل ذلك قاموا بتبني فكرة بديلة ومضادَّة لشرعية الحق الإلهي وهي **الحق الطبيعي**.

وبهذا نرى أن هذه العلمانية فقدت عنصرين من القاعدة العملية، وهما كل من عنصر التفكير والغاية، فلم يتمَّ الحلُّ بناء على محاكمة عقلية للمشكلة، ولم يكن العمل مقصودًا به غاية محقَّة حكم العقل بجعلها بوصلة توجِّه الفكر والعمل، وبالتالي انقطعت هذه القاعدة الفكرية الأساسية - أي العلمانية - عن الفكر السليم وعن الغائية السامية. وبالتالي كان هذا هو أول الفساد الفكري وجذره، وكان هو أصل كل الشرور التي نتجت عن هذه الحضارة كما سنرى لاحقًا.

الحق الطبيعي هو الركن الأول للعلمانية:

كان الملوك والقياصرة في أوروبا يحكمون الناس بها باسم الحق الإلهي، وهو ما يسمى بنظام الحكم الثيوقراطي، وتعود هذه النظرية إلى العصور الوسطى؛ إلا أنها تبلورت بشكلها المتميِّز في عهدي كل من (جيمس الأول) ملك إنكلترا (١٦٠٣-١٦٢٥)م و(لويس الرابع عشر) ملك فرنسا. وحسب نظرية الحق الإلهي كان من حقِّهم - حسب الكنيسة - أن يشرِّعوا ما يريدون من قوانين، وأن ينفِّذوا ما شاؤوا من أحكام دون حقِّ الاعتراض عليهم من الشعوب، وكان من أشهر المدافعين عن هذا المفهوم الفيلسوف روبيرت فيلمر.

ولما حدث الصراع العنيف في أوروبا بين الملوك والكنيسة من جهة والفلاسفة والمفكرين والعلماء الطبيعيين من جهة أخرى، تمَّ بعدها التوافق على فكرة فصل الدين عن الحياة أي العلمانية. وكانت ثورة كرومويل في إنجلترا سنة ١٦٨٨م هي التي أنهت نظريًا وعمليًا فكرة حقّ الملوك الإلهي، كما أصبح البرلمان هو صاحب الكلمة العليا في شؤون الحكم، وقد صدر عنه ما يعرف بـ«إعلان الحقوق» عام ١٦٨٩م، وكان من أهم ما تضمَّنه أن حق الملك في التاج مستمَدٌّ من الشعب الممثَّل في البرلمان وليس من الله.

وقد انتقد الفيلسوف جون لوك سنة ١٦٨٩م آراء فيلمر حول الحق الإلهي في كتابه المعادي لاستبدادية الحكم «المعالجة الأولى عن الحكومة المدنية» الآراء الداعمة للحكم باسم الله أو الرب ونقضَها. وقد بنى لوك وغيره من الفلاسفة كهوبس وفولتير وبيفندورف نظريتهم حول العقد الاجتماعي على نظرية الحق الطبيعي لنقد النظرية التقليدية حول الحق الإلهي. وقد دعا المفكر الألماني صموئيل بيفندورف (١٦٣٢-١٦٩٤)م إلى إحلال القانون الطبيعي أو العقلاني المحض محل القانون الكنسي المقدَّس، ويجدر بالذكر أن جيفرسون قد اقتبس كثيرًا من آراء لوك عندما كتب أعلان استقلال أمريكا عام ١٧٧٦م.

وكان لا بدَّ لأوروبا من نظرية بديلة تحلُّ محلَّ نظرية الحق الإلهي لسد الفراغ؛ لأن الحياة لا تقبل الفراغ؛ فابتدع المفكرون فكرة حق آخر مقابل الحق الإلهي، وهي فكرة الحق الطبيعي. وقد تأثر فلاسفة العقد الاجتماعي الأوروبيون بفلسفة وقواعد المذهب الطبيعي أو بنظرية الحق الطبيعي، فشكلت هذه الفكرة البديل النظري الذي يحتاجونه للأفكار والأنظمة التي تقوم عليها الدول الحديثة ويتم حكم الشعوب على أساسها.

ما هي نظرية الحق الطبيعي؟

نظرية الحق الطبيعي هي نظرية تقوم على مجموعة من الحقوق التي يكتسبها الفرد بالطبيعة. أي أنها هبة طبيعية لكل فرد من الجنس البشري، لا تنزع من الأشخاص والشعوب، ويجب على المجتمع وسلطاته أن تؤمِّن الشروط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لجعل ممارستها وصيانتها أمرًا ممكنًا، ومحاربة الحواجز التي تحول دونها أو تنتهك حرمتها.

وتتضمن نظرية الحق الطبيعي فكرة جوهرية وهي أن الحياة والعالم مبنيَّان على قانون طبيعي، يقيم العلاقات بين الأفراد على أساس الحرية والمساواة والعدالة الطبيعية، ويمكن بموجب هذا القانون الطبيعي تحديد الخير من الشر، ومعرفة العدل من الظلم، أو تمييز الخطأ من الصواب. فالمرجعية لتحديد هذه المفاهيم هي قانون الطبيعة؛ وعليه يكون الحق الطبيعي هو مستند أو مرجعية فوق الجميع. وبالتالي نزعت نظريةُ الحق الطبيعي مرجعيةَ تحديد الحقوق من نسبتها إلى الإله والكنيسة، ونقلت هذه الحقوق الفردية إلى مرجعية جديدة هي قانون الطبيعة والوضع الطبيعي.

وفكرة القانون الطبيعي هذه لم تكن فكرة جديدة، فهي ترجع في أصولها إلى فلسفة الإغريق وانتقلت إلى القانون الروماني، وهي تقوم على أساس وجود قانون ثابت لا يتغير، وهو يُعتبر المثل الأعلى الذي يجب أن تنسج على منواله قوانين المجتمع... فهو مصدره الطبيعة ويكشفه العقل. ثم انتقلت فكرة القانون الطبيعي إلى إنجلترا عن طريق الآداب اليونانية والقانون الروماني، وأدت إلى ابتداع نظرية العقد الاجتماعي التي يمكن اعتبارها إعمالًا لقانون الطبيعة في المجال السياسي، وترجع نشأة الدولة إلى الإرادة العامة للجماعة، فتكون السيادة للشعب، وشرعية سلطة الدولة مصدرها من الإرادة العامة.

إذًا، يلاحظ الترابط بين فكرة الحقوق الطبيعية وفكرة الحرية الفردية التي جعلها الفكر الرأسمالي إحدى أصول الحكم الديمقراطي؛ لأن نشوء المجتمع والدولة يكون أساسًا من أجل صيانة وحماية الحريات الفردية، ولتكون الديمقراطية بديلًا رأسماليًا لنظام الحكم الثيوقراطي والملكي المستند إلى فكرة الحق الإلهي.

ويظهر من التدقيق في فكرة الحق الطبيعي بأنها تقوم على مفهوم ذهني مجرد للوضع الطبيعي، فهو مجرد وضع متخيَّل لا حقيقة له في الواقع، فلا يمكن للفرد أن يعيش وحده في وضع طبيعي؛ لأن الإنسان مدني بالطبع فلا ينفك عن مجتمعه ولا عن أسرته. ولكنَّهم استندوا إلى فكرة الحقوق الطبيعية كتنظير للحد من سلطة الحكام ولتأسيس وإقرار حريات الأفراد. وعلى الأخص حرية التملك وإباحة استخدام العنف لحماية الملكية الفردية من كل من يعتدي عليها وعلى أنفسهم.

القوانين الطبيعية هي مرجعية القيم الرأسمالية:

حين تجعل الرأسماليةُ المرجعيةَ للقوانين الطبيعية، فهذا يعني التخلي عن أية معايير

أخلاقية أو إنسانية أو دينية؛ لأنه لا يوجد في الطبيعة ولا في قوانينها المسيرة للتطور تلك المعايير، فلا يوجد في الطبيعة مفاهيم الرحمة والعطف والمسامحة، بل الموجود فقط هو قوانين القوة المتغلبة والقدرة على الدفاع عن النفس والتأقلم مع الأوضاع. ومن يكون من الكائنات مناسبًا للظروف الطبيعية يكون هو الأصلح، فتغيب في الطبيعة جميع القيم والمعايير إلَّا قيم القوانين الطبيعية ومعاييرها فقط، ولا يسود إلا قانون الغاب وشريعته، وبالتالي فالقيمة الوحيدة في قانون الطبيعة هي القيمة المادية.

فكرة التطور الطبيعي الركن الثاني للعلمانية

كانت فكرة التطور لازمة لإكمال النظرة الداروينية للحياة من أجل سد ثغرة كبيرة تتعلق بوجود إشكالية في اتخاذ القوانين الطبيعية كمرجعية للتشريعات البشرية. والإشكالية التي واجهت الأوروبيين هي مسألة أزلية وثبات القوانين الطبيعية وعدم تغيُّرها. وهذا الأمر - أي الثبات في القوانين الطبيعية - هو أصل أخذوه عن الإغريق والرومان، وهذا الأمر أحدث مشكلة للرأسماليين الذين وجدوا بأن القوانين التي يشرعونها يضطرون إلى تغييرها وترقيعها وأقلمتها مع الواقع وما يحدث فيه من مشكلات بشكل مستمر؛ ولذلك كان لا بدَّ من تبرير لهذا الأمر بمحاولة الرجوع للطبيعة نفسها، والادعاء بأن الطبيعة متغيرة ومتطورة وليست ثابتة مع إقرارهم بثبات قوانينها، ولذلك ابتدعوا فكرة التطور كقانون في الطبيعة.

وقد نشأت مدرسة في فرنسا هي مدرسة التطور الطبيعي، على يد الفرنسي جورج دي بوفون، ونشر في عام ١٧٨٠م كتابه (التاريخ الطبيعي)، وأيّد فيه فكرة تطور الكائنات الحية من أنواع أسلاف مشتركة. وأثّر فكر دي بوفون التطوري في العديد من الفلاسفة والعلماء الطبيعيين، من أبرزهم: بارون دولباخ، صاحب كتاب (نظام الطبيعة) الذي أُطلق عليه (إنجيل الإلحاد)، والذي ناقش فيه فكرة تنظيم المادة لنفسها لتنتج الحياة بفعل العوامل البيئية والزمنية فحسب. وكذلك دينيس ديدرو، الذي اقترح بأن المادة تتفاعل بشكل عشوائي ما يتسبب في نشوء الحياة عن طريق الصدفة.

وكان جون لامارك من العلماء البيولوجيين الطبيعيين المتأثرين بدي بوفون، التي سُميت نظرية التطور (اللاماركية) باسمه، وله كتاب (التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقارية) صدر في عام ١٨٢٠م. ثم كان داروين في إنجلترا هو الذي دمج في نظريته بين أفكار مدرسة الوضع الطبيعي وأفكار مدرسة التطور الطبيعي، وخرج بنظرية التطور الطبيعي للأحياء سنة ١٨٦٠ م.

أما الداعي لابتداع فكرة التطور، فهو التعارض الذي ظهر في أوروبا بين الإيمان بقوانين الطبيعة كقوانين ثابتة لا تتغير وبين القوانين التي يشرعها البشر، والتي تكون قوانين الطبيعة هي المرجعية لها بدل القوانين الإلهية. وبما أن القوانين البشرية متغيرة ومتبدلة حسب الديمقراطية، أي أهواء البشر ومصالحهم، فقد شكَّل هذا الأمر تعارضًا

بين مرجعية قوانين الطبيعة الثابتة ومرجعية التشريع البشري المتغير، مع أنهم لو تفكروا عميقًا لوجدوا أن معيار صلاح ونجاح أي نظام أو قانون هو قدرته على حل المشكلات من خلال قواعده وأسسه التي قام عليها، دون الحاجة للخروج عنها وتأويلها بترقيعات وتأويلات فاسدة، وإذا استجدت قضايا ووقائع جديدة مع تغير الزمان والظروف، واستطاع هذا النظام والقانون علاجها دون الخروج عن هذه القواعد والأسس، فإنه يعتبر قانونًا ونظامًا ناجعًا وصالحًا، وإلا فلا.

ولكن عندما يضع الإنسان نظامًا أو قانونًا لحل مشكلات معينة ثم تتقلب عليه الظروف والأحوال، ويثبت عجز وفشل هذا النظام والقانون عن حل المشكلات، فيلجأ القائمون عليه إلى محاولات متعسفة لتغييره وتكييفه مع الظروف الجديدة، فيقومون بتأويلات فاسدة للقانون والنظام، ويخرجون عن أسسه وقواعده بشكل يؤدي إلى انحرافه عن أهدافه ومعاييره، فإن هذا الانحراف والترقيع يدل على فساد وفشل هذا النظام والقانون في حل المشكلات المستجدة.

لكن قد يحاول القائمون على هذا النظام والقانون أن يقوموا بالتغطية على الفشل والعجز عن وضع نظام صالح لمعالجة المشكلات، فيزعمون أن تطور القانون والنظام هو أمر طبيعي ليتلاءم هذا القانون مع ما يستجد من أحداث ووقائع؛ لأن هذا هو قانون الطبيعة في الأصل، فهي في تغير وتطور دائمين، وأن الأنظمة والأفكار التي لا تتطور مع مرور الزمن، يؤدي ذلك إلى تراكم المشكلات أمامها ثم يؤدي إلى عجزها عن مسايرة الواقع أي أنها فاشلة، وبالتالي تكون هناك حاجة مستمرة إلى استبدالها بقوانين عصرية متطورة ومتحضرة!!

وعليه، عندما يدعي واضعو الأنظمة الرأسمالية وكذلك الاشتراكية بأن التطور أو التقدم هو قانون من قوانين الطبيعة ولا بد منه، وهو الذي يبقي الأنظمة والأفكار حية وتنمو وتتطور، ومن لا يتطور فإنه سينقرض ويفنى حتمًا بناء على نظرية داروين... هذا الادعاء هو تعبير عن الفشل ولكن باستخدام ألفاظ ملتوية، فإذا كان القانون والنظام لا يصلح ولا يستطيع معالجة المشاكل والوقائع التي وجد من أجل حلها، فهو قانون ونظام فاشل وفاسد. وما قيام واضعيه بعمليات تغيير في أسسه وتفصيلاته تحت شعار التطور والتحديث إلا محاولات لإخفاء هذا الفساد والفشل تحت شعار التطور والحداثة.

وبالتالي فدعوى التطور هي محاولة للتهرب من نتائج الفساد والفشل في الأنظمة وفقًا للمعيار الذي يحدِّد بأن صلاحية الأنظمة والقوانين هو قدرتها على إيجاد حلول ناجعة للمشاكل، وليس بناء على قدرتها على التلوُّن والتمطط والترقيع تحت اسم التطور... إن الخلط بين مسألة تطور العلوم الطبيعية وما يسمى بتطور القوانين البشرية يؤدي إلى اللبس وقلب الأمور، ويؤدي إلى أن يتصور الناس بأنهما من جنس واحد، فما دامت العلوم تتطور، فلماذا لا تتطور القوانين؟! ولذلك

وجب التفريق بينهما لكشف المغالطة والدس والفساد الرأسمالي.

معيار تطور القوانين والأنظمة:

وفقًا لما شرحناه أعلاه وذكرناه بأن دعوى التطور في القوانين يدل على الفشل والفساد في علاج المشكلات الإنسانية بقوانين غير صالحة، وعملية خلط تطور القوانين والتشريعات البشرية مع تطور العلوم، هو خطأ فاحش. أما تطور العلوم الطبيعية، فهذه مسألة مختلفة؛ لأن العلوم مبنية على قوانين الطبيعة الثابتة التي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. ودور البحث العلمي هو الكشف عن هذه القوانين وجعلها في خدمة الإنسان من خلال فهم وتقنين سلوك المواد الطبيعية، أي تسخير ما خلقه الله في الطبيعة لمنفعة الإنسان. وقوانين الطبيعة لا تتغير ولا تتطور مطلقًا، وإنما الذي يتغير ويتطور هو إدراك الإنسان لها وقدرته على تسخيرها لمصلحته بواسطة العلم والتكنولوجيا، فكلما بحث الإنسان ودرس وجرَّب توصل إلى علوم جديدة نافعة له. فهذا، وإن جاز أن نسميه مجازًا بالتطور؛ ولكنه يختلف تمامًا عما يسمى بتطور قوانين الطبيعة والتي هي – في حقيقتها - ثابتة لا تتطور، وثبات قوانين الطبيعة هو أكبر شاهد على كذب وافتراء هؤلاء الرأسماليين بشأن مفهوم التطور.

النظرة الداروينية للأخلاق:

كما اتضح أعلاه من شرح لأسس الحضارة الرأسمالية التي قامت على نظرية الحق الطبيعي والتطور، ونفي جميع القيم في الحياة إلا القيمة المادية النفعية الأنانية، كان تصوير الحياة -كما في نظرية داروين- بأنها صراع على البقاء وأن البقاء يكون للأصلح وللأقوى، وأن المرجع الوحيد للقوانين هو قانون الطبيعة، فبالتالي كان الهمُّ الرئيس للرأسماليين هو اكتشاف قوانين الطبيعة وتقديسها ثم تبنيها واستغلالها للانتفاع بالمنافع الطبيعية، وكسلاح للقضاء على الخصوم في خضم صراعات الحياة.

وإذا كان البعض قد يجادل بأن الأفكار الرأسمالية الأساسية قد نادت بقيم «أخلاقية» كالحريات والديمقراطية والعلمانية وحقوق الإنسان، وهذه – في تقديرهم - قيم أو أفكار حسنة ولها قبول عالميًا، فإننا نقول لهم بأن هذه قشور دعائية يغطي بها الرأسماليون عوراتهم الفاضحة، فعند الشدائد تظهر حقيقة النظرة والمعدن الذاتي للمبادئ وللأشخاص، وها نحن جميعًا شاهدنا تصرفات أهل هذه الحضارة، خلال ما يمر به العالم في أزمة وباء الكورونا، ورأى الناس بأم أعينهم الصراع والخصام بينهم حتى على ورق الحمام والمنظفات، ورأوا قرصنة أمريكا وغيرها من الدول الرأسمالية للكمامات الواقية والمعدات الطبية الأخرى من دول أخرى، ومنعها لشركاتها من تصدير هذه المعدات للخارج، وإيمانهم بسياسة «مناعة القطيع» الداروينية، وتركهم لكبار السن دون رعاية ليفترسهم فيروس الكورونا.

وقد تبيَّن للعالم - في خضم هذا الوباء وما سبقه من أزمات عالمية - فساد هذه الحضارة

وفساد نظرتها الداروينية للحياة، تلك الحضارة التي تُعلي قيمة الأنانية والتطور العنصري والبقاء للأقوى، وأنها حضارة تحطُّ من القيم الروحية والإنسانية والأخلاقية كالرحمة وحسن الجوار وإغاثة الملهوف وإعانة الضعيف. فهي تؤمن بالقوة المادية وسلاح الدمار الشامل للتغلب في الصراع مع الخصوم، فيما تهمل الرعاية الصحية والتعليم وباقي الحاجيات المجتمعية التي لا تدرُّ ربحًا. إن كل هذا يثبت أن نظرتهم الحقيقة للحياة هي هذه النظرة الداروينية للحياة، وأنها نظرة فاسدة غير أخلاقية، مكمنها في مفاهيم الأعماق عندهم.

أثر النظرة الداروينية على مناهج التفكير

كان من أول الأفكار التي نشأت في أوروبا في بداية ما يسمى عصر النهضة، الطريقة العلمية التجريبية في البحث، وقد نشأت على أيدي بعض العلماء والفلاسفة، كان من أهمهم جاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢)م في إيطاليا، وفرانسيس بيكون (١٥٦١-١٦٢٦)م في بريطانيا. فـ«بيكون» يعتبر من أوائل الفلاسفة الذين دعوا إلى الحرية الفكرية والاصطباغ بالروح العلمية في أوروبا، وهو المؤسس للمنهج التجريبي الذي يقوم على التفكير العلمي. وأرجع بيكون انحطاط الفلسفة إلى عوامل منها اختلاط الدين بالفلسفة، واعتماد الناس في أحكامهم على الأدلة النقلية وأخذهم بأقوال السالفين دون النظر والتثبت من صحتها. وقد ثار ضد تراث أفلاطون وأرسطو الإغريقي بأسره واعتبره غير واقعي.

يعتبر الرأسماليون الطبيعة بأنها هي مصدر المنافع المادية، ولا بد من تسخير قوانينها الطبيعية لقهرها، وبالتالي حتى يتم التغلب عليها لا بد من فهم صفات الطبيعة وقوانينها، ثم إيجاد القوة المادية وما يلزمها من وسائل وأسباب لتذليل الطبيعة والحصول على منافعها بالقوة القاهرة؛ ولذلك تكون الطريقة العلمية هي أهم وسيلة عندهم لفهم واقع الطبيعة وقوانينها، وكذلك لتطوير ما يلزم من قوة وسلاح يساعد البشر لكي يستطيع الإنسان الحصول على المنافع الطبيعية.

إذًا، الحضارة الرأسمالية حددت أن همها الأول هو التفكير في واقع الطبيعة لاستنباط الأنظمة والقوانين التي في الطبيعة، وجعلها هي النموذج المسيِّر لأفعال الناس في الحياة في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وبالتالي فمنهجية التفكير الرأسمالية حصرت نفسها بالطبيعة وقوانينها لا غير، وترى أن الإنسان هو جزء من الطبيعة، وأن عليه الانسجام معها، وأنه - ككائن حي - نتاج تطور قوانين هذه الطبيعة ولا حاجة لأن يخلقه خالق، وبالتالي كان لا بد لهم من منهجية في التفكير تتناسب مع هذه الأمور تقوم على التفكير النفعي البراغماتي، وعلى استنباط علوم الطبيعة بواسطة حصر العقل في الماديات فقط، وملاحظة الطبيعة وما عليها من أحياء واكتشاف طرق عيشها وصراعها، ومحاولة تقليد الإنسان لهذه الطبيعة.

ويعتمد الرأسماليون على فهم المشكلات

وإيجاد الحلول لها من خلال الطريقة أو المنهج العلمي في البحث؛ لأن هذا المنهج العلمي هو الذي يوصلهم إلى فهم واقع الأمور أو ماهية المشكلات الإنسانية، وهو المنهج الذي يجب أن يستخدم في حلها من خلال قوانين الطبيعة؛ لأن من أهم أهداف البحث العلمي هو اكتشاف القوانين العلمية التي تتحكم في سلوك المادة والطبيعة، فتكون الطريقة العلمية هي أهم أداة يعوَّل عليها في التفكير والفهم والسلوك لديهم.

النظرة الداروينية للحياة

عند إمعان النظر في الطريقة الداروينية في فهم الطبيعة والتعامل مع الحياة، نجد أنها تقوم على أسس محددة، تتمثل في:

اعتبار الطبيعة وقوانينها هي القيمة الأسمى، وهي المرجعية التي يجب اعتبارها وتقديسها، ثم اعتبار أن الحوادث تحركها العشوائية والصدفة دون توجيه أو تنظيم خارجي، وأنَّ التطور يحدث في الطبيعة تلقائيًا دون تدخل من أحد، وهو تطور ذاتي وفق قوانين الطبيعة، ويكون دائمًا نحو الأصلح.

وأما نظرتهم للحياة فتقوم على الصراع من أجل البقاء بين الكائنات والحصول على المنافع في الطبيعة وأن هذا هو الذي يوصل إلى التطور والارتقاء الاجتماعي، واعتبار أن معيار النجاح في الصراع الطبيعي هو امتلاك القوة والتناسب مع الظروف الطبيعية، ولا اعتبار لأي قيم أخلاقية أو إنسانية في هذا الصراع.

وبذلك نستطيع تفسير نظرة الرأسماليين لمفهوم حريات الأفراد؛ لأن الحرية تماثل مفهوم العشوائية في الطبيعة، وأن المنفعة المادية المحسوسة أو البراغماتية هي وحدها المعيار ولا اعتبار للقيم الروحية والأخلاقية؛ لأن الطبيعة وقوانينها لا تعترف بها، وأن المشاكل تأتي بسبب النقص في الموارد، وأن هذا سبب الصراع، وأن العلاج يكون بزيادة الثروات، وأن معالجة مشاكل الحياة تستفاد من أنظمة الطبيعة، وأن القوانين البشرية تتطور مع الزمن، وأن التطور يتجه دائمًا نحو الأفضل.

إن من أهم أسس الفساد في النظام الرأسمالي هو القول بأن الصراع أو الإشكاليات (النواقص والثغرات) تحَلُّ بشكل تلقائي آلي دون الحاجة لتدخل مقصود لأحد من خارج الطبيعة وقوانينها، وهي فكرة آتية من نظرتهم للطبيعة باعتبارها نظامًا سببيًا مغلقًا لا يحتاج إلى سبب من خارجه (إنكار الخالق)، وأن الصراع الطبيعي يؤدي إلى التطور، والتطور الطبيعي كفيل بارتقاء الأشياء. وهذا الأساس – أي عدم الحاجة للتدخل في الصراع الطبيعي - هو ركن في نظرية داروين حول تطور الكائنات الحية، وهو ركن عند مالثوس في مبدأ الكثافة السكانية، وكما هو ركن أيضًا عند ماركس في نظرية تطور حركة تاريخ المجتمعات، وكذلك هو ركن في الاقتصاد حيث منع آدم سميث تدخل الدولة، وجعل قانون العرض والطلب وميكانيكية الثمن كفيلة بحل مشكلات التوازن والتوزيع، وتؤديان إلى تقدم وازدهار الاقتصاد. والخلاصة أن الحياة صراع يجري وفق قانون

الطبيعة أو شريعة الغاب.

الحقُّ الطبيعيُّ والتطوُّر هما أساسا الأنظمة الرأسمالية:

نتج عن رفض فكرة الحق الإلهي ما يعرف بالعلمانية السياسية، وتم استبدالها بفكرة الحق الطبيعي، والحق الطبيعي يقتضي بأن تكون قوانين الطبيعة هي المرجع الأساسي لقياس الحقوق والواجبات في المجتمع؛ فلا يكون للدين ولا للكنيسة أي دور في تنظيم الشؤون الاجتماعية والسياسية. وما دامت القوانين الدينية ليست هي المرجع، ولم تعد المصدر الأساس بعد فصل الدين عن الحياة وعن الدولة، فكان لا بد من أن يستبدلوا القوانين الدينية بقوانين من الطبيعة. فغدا الإنسان وإرادته وحرياته هي المصدر للحقوق في المجتمع، وعليها يتأسَّس ميثاق العقد الاجتماعي ودستور الدولة.

ونتج عن فكرة الحق الطبيعي لزوم الإقرار بفكرة الحريات الفردية، ونتج عنها كذلك المدرسة الاقتصادية الطبيعية التي كانت النواة لنشوء النظام الاقتصادي الرأسمالي، القائم على المبادرة الفردية وحرية التملك وعدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي للأفراد، والاعتماد على اليد الخفية للسوق – أو ميكانيكية الثمن - التي تحقق التوازن وتساهم في توزيع الثروات على المجتمع، وكان من أهم مؤسسي ومنظري هذه المدرسة الاقتصادية آدم سميث في بريطانيا (١٧٢٣-١٧٩٠)م.

ونتج أيضًا عن فكرتي الحق الطبيعي والتطور الطبيعي نظرية التطور في الكائنات الحية التي نادى بها تشارلز داروين (١٨٦٠م)، ونادت بأن قوانين الطبيعة تشير إلى قانون صراع البقاء بين الأحياء على الموارد الطبيعية، وأن نتيجة هذا الصراع هي البقاء للأصلح، وأن القوانين الطبيعية هي التي تؤدي إلى تطوُّر وتنوُّع الأنواع الحية.

ثم انبثق عن فكرة التطور الداروينية هذه ما يسمى بالداروينية الاجتماعية، حيث ارتكزت على أساس علمي بزعمهم، وهي نظرية داروين؛ لتوجد لها شرعية علمية فتكون أمرًا مقبولًا في العلوم الاجتماعية. وهذه المدرسة أعطت التبرير اللازم من قوانين الطبيعة لما ذهبت إليه الكثير من الأفكار الخاصة بالعنصرية كالنازية والفاشية واليمين المتطرف. وظهرت بذور الداروينية كذلك في نظرية مالثوس في مبدأ الكثافة السكانية، والذي روَّج بأن الحروب والأوبئة والمجاعات وسوء الأحوال الصحية والاقتصادية، هي وسائل عملية تخفف من مشكلة التكاثر السكاني.

وعليه، فكل الأنظمة الرأسمالية في الاقتصاد الحكم والسياسة والاجتماع والقانون المدني والتعليم والصحة وغيرها، هي أنظمة مبنية على أساس الحضارة الرأسمالية، وهي العلمانية والنظرة الداروينية للحياة، وهذه النظرة الداروينية انبثقت من نظرية الحق الطبيعي بعد أن رَقَّعت بفكرة أخرى وهي التطور، فتمَّ دمجمها معًا لتشكيل النظرة الداروينية الرأسمالية للحياة.■

بسم الله الرحمن الرحيم

غربة الإسلام وتجديده وحزب التحرير (١)

حامد عبد العزيز

قال رسول الله ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاء**» [خرجه مسلم، وانفرد به عن البخاري، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن]. قال السندي في حاشية ابن ماجة: «غَرِيبًا» أَيْ لِقِلَّةِ أَهْله، وَأَصْل الْغَرِيب الْبَعِيد مِنْ الْوَطَن «**وَسَيَعُودُ غَرِيبًا**» بِقِلَّةِ مَنْ يَقُوم بِهِ وَيُعِين عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ أَهْله كَثِيرًا، «**فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**» الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ. وطُوبَى تُفَسَّر بِالْجَنَّةِ وَبِشَجَرَةٍ عَظِيمَة فِيهَا، وَفِيهِ تَنْبِيه عَلَى أَنَّ نُصْرَة الإِسْلام وَالْقِيَام بِأَمْرِهِ يَصِير مُحْتَاجًا إِلَى التَّغَرُّب عَنْ الأَوْطَان وَالصَّبْر عَلَى مَشَاقّ الْغُرْبَة كَمَا كَانَ فِي أَوَّل الأَمْر.

ونقل النووي في شرح صحيح مسلم عن القاضي عياض، أنه قال في معنى الحديث: «أَنَّ الإِسْلام بَدَأَ فِي آحَاد مِنْ النَّاس وَقِلَّة، ثُمَّ اِنْتَشَرَ وَظَهَرَ، ثُمَّ سَيَلْحَقُهُ النَّقْص وَالإِخْلال، حَتَّى لا يَبْقَى إِلا فِي آحَاد وَقِلَّة أَيْضًا كَمَا بَدَأَ».وليست هذه العودة فجائية؛ بمعنى أن يكون الإسلام ظاهرًا منتشرًا له الكلمة العليا في الأرض، ثم يصير فجأة غريبًا بدون مقدمات تصل به إلى حالة الغربة، عبر مراحل زمنية متتالية قد تطول أو تقصر حسب همة المدافعين عنه العاملين على نصرته.

والغربة تعني اندراس معالم الدين، وغياب التشريعات عن تنظيم واقع الأمة، وانتشار الجهل بأحكام الدين، وتطاول المنافقين وأصحاب البدع على ثوابت الأمة وتاريخها وعلمائها الربانيين. ووظيفة التجديد أن تقاوم ذلك كله، وتعيد للدين بهاءه ونقاءه وصفاءه، وتعيد للأمة ثقتها بقوة عقيدتها وسلامة تشريعاتها. فإذا فسد الناس لم يكتفِ الغرباء بصلاح أنفسهم وحسب، بل كانوا صالحين في أنفسهم مصلحين لغيرهم. وذلك أمر لا ينقطع ما دامت الحياة الدنيا.

وتجديد الدين لا يعني أبدًا تغييره أو تبديله كما يريد المبطلون الذين يرفعون لواء التجديد في هذا العصر، وإنما يعني المحافظة عليه ليكون غضًا طريًا كما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ، والشيء إذا مرت عليه أحوال حتى صار قديمًا فإنما يأتيه التغير والاختلاف عما كان عليه أول أمره من أحد ثلاثة أوجه:

١- إما أن تطمس بعض معالمه، حتى لا تتضح لمن ينظر فيها. ٢- وإما أن يقتطع منه شيء، فتنقص به مكوناته. ٣- وإما أن يزاد فيه ويضاف إليه ما ليس منه، حتى تختلف صورته.

والتجديد في هذه الحالة يقتضي نفض الغبار عما طمس، وإعادة ما نزع ونقص، وإزالة ما أضيف ولحق به وهو ليس منه، ولا يكون أبدًا بصناعة دين جديد، كما يخطط دعاة التجديد اليوم. فالتجديد على ذلك عودة لمنابع الدين الأصلية عودة كاملة صافية نقية، وترك التقليد الفاسد القائم على (هذا ما وجدنا عليه أباءنا)، ودعوة للثبات على الحق وعدم قبول الدنية في ديننا. أي أن التجديد بمعناه الصحيح وكما يجب أن يكون هو عملية إصلاحية محافظة، وليس عملية تخريبية ملفقة ومتفلتة من أي قيد.

وكما أن عملية التجديد في الأمة مستمرة ولا تتوقف على رأس المائة، فإن حالة الغربة المذكورة في الحديث الذي مر معنا لن تمر

على الأمة أيضًا لمرة واحدة، فللأمة على مدار تاريخها الطويل جهود عظيمة في مقاومة الغربة التي كانت توجد بين الفينة والأخرى، والتي كانت تشتد في أماكن دون أماكن، فحيث وجد علماء ربانيون كان تأثير الغربة ضعيفًا؛ لأن وظيفتهم هي القيام على أمر التجديد وتبيان الحق والوقوف في وجه الباطل. وقد قيَّد الله لهذه الأمة على مدار تاريخها الطويل من يقوم بتلك الوظيفة على أكمل وجه. وإنه وإن مرت بالأمة فترات ضعفَ فيها العلماء وقلَّ فيها العلم وزادت فيها حالة غربة الإسلام، إلا أن الأمة كانت ما تلبث أن تعود كما بدأت، فيخرج منها من يجدد لها أمر دينها فيعيده غضًا طريًا كما بدأ.

فعندما قال رسول الله ﷺ، «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**» [رواه أبو داود وصححه السخاوي]، لا يلزم من الحديث أن يكون المجدِّد فردًا، كما أن جلال المهمة وعِظمها تحتاج إلى وجود عدد يقومون بهذه المهمة. وقد فسَّر أهل العلم هذا الحديث التفسير الصحيح، فقالوا: إن كلمة «**مَن**» ههنا اسم موصول تفيد الإطلاق، فيحتمل أن يكون المجدد فردًا، ويحتمل أن يكون طائفة من الناس، وبناء عليه فلا يلزم تتبع أسماء أفراد من العلماء في كل قرن والمفاضلة بينهم لتمييز المجدِّد فيهم، فقد يكون كلهم ساهم في تجديد هذا الدين وبعثه في الأمة. يقول الحافظ الذهبي رحمه الله: «الذي أعتقده من الحديث أن لفظ «**مَن يُجَدِّدُ**» للجمع لا للمفرد». ويقول ابن كثير رحمه الله: «قال طائفة من العلماء: الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف، كما جاء في الحديث من طرق مرسلةٍ وغير مرسلة «**يحمل هذا العلم من كل خلف عُدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين**». وهذا لا يعني أن يظل غريبًا مجهولًا أو متروكًا العمل به طوال القرن حتى إذا كان آخر القرن ظهر المجدد، فليس في الحديث ما يدل عليه.

ولو استعرضنا تاريخ الأمة لتبين لنا كيف مرت الأمة بحالات كثيرة من الغربة، وكيف قيَّد الله للأمة علماء ربَّانيين وحركات مخلصة وحكامًا مخلصين وقادة عظامًا، جددوا للأمة أمر دينها وعادوا بالإسلام لنقائه وصفائه الأول، ولو عددنا تلك المراحل لما وسعنا المقال، ولكن يكفي أن نذكِّر بعلمائنا العظام الذين تولَّوا أمر حفظ السُّنة وتبيان صحيحها من ضعيفها، وما ثبت منها وما وضع فيها وليس منها، وبالفِرق الضالَّة المبتدِعة التي ظهرت في الأمة التي أرادت أن تحرف دين رب العالمين، فتصدَّى لهم كمٌّ هائلٌ من العلماء فندَّدوا بأقوالهم وبيَّنوا زيف أفكارهم وجعلوها أثرًا بعد عين، كما نذكِّر بغربة الأمة عندما تحول الحكم فيها إلى حكم عضوض، إلا أن الأمر لم يمرَّ مرور الكرام، وظهر في الأمة حكامٌ عِظام حاولوا أن يعيدوا الحكم إلى جادة الصواب كعمر بن العزيز وهارون الرشيد وغيرهم. ولن نسترسل هنا في ذكر ما مرَّ بالأمة من حالات الغربة ولا حالات التجديد التي قام بها علماء الأمة على مدار أربعة عشر قرنًا، ولكنَّنا سنركِّز في تلك العجالة على ما تعيشه الأمة اليوم من غربة صعبة هي من أشد ما مرَّ على الأمة

طوال تاريخها الطويل. ففي هذا القرن الأخير عاشت الأمة غربة على أكثر من صعيد:

على صعيد الحكم:

قبل ما يقرب من قرن من الزمان وتحديدًا في الثالث من مارس/آذار ١٩٢٤م، تم هدم الخلافة الإسلامية، ولأول مرة أصبحت الأمة بلا خلافة وبلا راعٍ يقاتل من ورائه ويتَّقى به، فما أصعب حالة الغربة تلك التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الأمة، فلا دولة للمسلمين ولا راعيَ لهم، ولا دولة واحدة لهم، بل ما يقارب من ٦٠ دولة. والأنكى من ذلك لا توجد دولة واحدة من هذه الدول تمثل المسلمين أو تدافع عنهم وعن قضاياهم، بل هي كلها دون استثناء دول وظيفية تؤدي مهمة أسندت لها من قبل أعداء الأمة، وعلى رأس كل دولة منها حاكم عميل يكيد للأمة ولدينها صباح مساء. ولقد زادت حالة الغربة أكثر بعد أن استطاع أعداء الأمة أن يشوهوا فكرة الخلافة في أذهان الأمة ردحًا من الزمن، وبعد أن استطاعوا أن يُفقدوا الأمة ثقتها بالإسلام وقدرته على قيادة الأمة للنهوض بها.

ولكن الله قيد للأمة حزبًا مخلصًا واعيًا هو حزب التحرير أعاد لفكرة الخلافة رونقها من جديد، وأزال عنها طعن الطاعنين، وجعل منها مطلبًا عند كثير من أبناء الأمة، فكان هو وبحقٍّ من المجدِّدين الذين قيَّدهم الله لتجديد الدين في أمر الحكم الذي أصابته غربة كبيرة حتى صار في وقت من الأوقات تصورٌ لدى الكثيرين من أبناء الأمة أن لا نظام حكم في الإسلام، ولا نقول أبدًا أنه خلال هذا القرن لم يوجد في الأمة من يقوم بتجديد أمر دينها في موضوع الحكم، فقد تصدَّى العديد من علماء الأمة لمثل هذا التجديف كالشيخ مطيع البخيتي والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ سعيد بيران وغيرهم الكثير.

ما يتعلق بما طُمس من أمر الحكم في عصر الغربة الحالي:

١-كون الخلافة هي حصرًا نظام الحكم في الإسلام:

بعد هدم الخلافة مباشرة ظهر كتاب الشيخ على عبدالرازق (الإسلام وأصول الحكم) الذي أراد الكاتب من خلاله نفي أن يكون للإسلام نظامًا محددًا للحكم، والذي قرر فيه بكل صلفٍ واستكبار أن «الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كل ما هيؤوا حولها من رغبة ورهبة، ومن عز وقوة. وأن الخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية. كلا، ولا القضاء ولا وظائف الحكم ومراكز الدولة، إنما تلك خطط سياسية صرفة لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم ينكرها، ولا أمر بها ولا نهى عنها، وإنما تركها لنا لنرجع منها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة».

وظل هذا الكتاب أيقونة العلمانيين الذين حاربوا فكرة الخلافة لعقود طويلة وقاموا بتشويهها في محاولة لصرف الأمة عنها، وعندما تأسس حزب التحرير سنة ١٩٥٣م، على يد العالم الجليل تقي الدين النبهاني رحمه الله، وحدد قضية المسلمين المصيرية بأنها هي استئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الإسلامية، كان الحزب لدى الكثير من المراقبين حينها كأنه ينفخ في رماد، أو أنه يحلم في زمن ليس زمنًا للمعجزات، فعن أي خلافة يتحدث الحزب وقد تم تشويهها في أذهان الأمة، ولأي

وحدة يسعى حزب التحرير إليها وقد مزَّق مِبضع (سايكس - بيكو) الأمة إلى مزقٍ تسمى دولًا وإمارات ومشيخات ترسَّخت حدودها في عقول وقلوب الأمة بعد أن ترسَّخت على الأرض وأصبحت واقعًا لا يمكن تجاهله.

ولكن الحزب ظلَّ مثابرًا يصل ليله بنهاره، يعمل بين الأمة ومعها، يخوض صراعًا فكريًا وكفاحًا سياسيًا وكأنه ينحت في الصخر، وبرغم وعورة الطريق وصعوبته، إلا أن الحزب بتوفيق الله وعونه شقَّ طريقه ونجح نجاحًا منقطع النظير ليعيد للخلافة رونقها، ويجعل منها مطلبًا تسعى له الأمة، وتتمنى اليوم الذي تصحو فيه على البيان الأول الذي يتلوه خليفة المسلمين، لينهي عقودًا من الفرقة والتشرذم، ويُهيل التراب على فترات الضعف والتخلُّف، ويقطع دابر الكافر المستعمر من بلاد المسلمين.

٢-كون الخلافة فرض:

لعقود طويلة ظلَّ أعداء الأمة وأذنابهم من المشايخ والمتفيقهين يردِّدون على مسامع الأمة جمل مكررة مملولة من مثل، (الخلافة ليست نهجًا إسلاميًا) وأن (الخلافة ليست فكرة إسلامية) وأنها (ليس منصوصًا عليها في الشريعة الإسلامية في الأساس)، وأنها (ليست فرضًا إسلاميًا)، وأنها (ليست نصًا إسلاميًا)، وأنها (ليست أصلًا في حد ذاته نظامًا يوحد الشعوب الإسلامية)، وأنها (لم تكن النظام الوحيد في الدولة الإسلامية)، وظلوا سادرين في غيِّهم لا يردعهم شيئًا، ظنًّا منهم أنهم قادرون بمثل هذا الكلام الفارغ على صرف الأمة نحو توجُّهها نحو استعادة الخلافة مرة ثانية، ولقد تصدَّى الحزب وبقوة لهؤلاء، ولقد طوى الحزب فصولًا عدة في مشروع الخلافة المرتقبة، منذ تأسيسه وحتى الآن، فحسم مسألة فرضيتها بأن استخرج للأمة تلك الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه وإجماع الصحابة، وبيَّن للأمة طريقة إقامتها بعد أن درس سيرة المصطفى ﷺ فحدد مراحل إقامتها، فأدركت الأمة ذلك واقتنعت به، وبدأت تتوق ليوم عزتها بإقامة فرض ربها، وها هو الحزب اليوم بصدد افتتاح الفصل الأخير في مشروع الخلافة العظيم.

٣-كون الإسلام نظامًا كاملًا شاملًا، وأنه دين منه الدولة:

لقد ابتلي المسلمون في هذا العصر بقوم باعوا عقولهم للغرب ورضوا بأن يكونوا أدوات ومعاول هدم في يده، يضربون بها دين الله الذي جعله الله خاتمة الرسالات بما يمتلكه من قدرة عجيبة على معالجة كل المشكلات التي تواجه الناس في معاشهم وكل ما قد يستجد من مشكلات تحتاج إلى حلول صحيحة تجعل من حياة الإنسان حياة مطمئنة وسعيدة. ولقد تطوَّع هؤلاء لإثارة الشبهات حول الإسلام، وإظهاره وكأنه دين كهنوتي يهتم فقط بعلاقة الإنسان بربه وبعض الأخلاق والمطعومات والملبوسات، وساوَوا بينه وبين النصرانية المحرَّفة، وبدأت تظهر دعوات فصل الدين عن الحياة والدولة. ولقد استطاع الحزب ومعه ثلة من العلماء الواعين المخلصين على تقديم الإسلام بحلَّته الصحيحة باعتباره دينًا شاملًا كاملًا يعالج كل مشاكل الحياة، وأنه دين ومنه الدولة، وأي تجديد أعظم من إعادة الإسلام باعتباره مبدأ أي عقيدة عقلية ينبثق عنها نظام.

ما يتعلق بما زيد فيه وليس منه:

١-كون التغلب بالقوة طريقة معتبرة في الوصول للحكم:

من أخطر الأفكار التي أدخلت في الإسلام وليست منه، كون التغلب بالقوة طريقة معتبرة في الوصول للحكم، ولقد بحثها بعض العلماء باعتبارها واقعًا جديدًا يحتاج إلى حكم، ولقد كان رأي كبار الصحابة هو أن السلطان المتغلب لا يصحُّ السكوتُ عليه، ولا بد من منازعته في تغلبه، وعدم إقراره على ذلك، أي أن أخذ السلطة بالقوة اغتصابًا يجب أن يقاوم، وأن يظل الإصرار على مقاومته، ولا يحل السكوتُ عليه، مهما اصطنع من شدة وغلظة، ومهما حصل من قوة وبطش. إلا أن من جاء بعدهم من الفقهاء ضرب عرض الحائط بقول وفعل كبار الصحابة، وحاول أن يجعلوا من اغتصاب السلطة والتغلب عليها بالقوة طريقة من طرق الوصول إلى الحكم، إلا أن الحزب وبشكل لا لبس فيه بيَّن أن هناك طريقة واحدة لا غير للوصول إلى السلطة، وهي البيعة الشرعية عن رضا واختيار، وبيَّن أن اغتصاب السلطة جريمة ما بعدها جريمة، بل كانت أفظع جريمة حلَّت بالإسلام، ونُكب بها المسلمون، وهزّت الإسلام هزة بالغة العنف، ودمّرت نظام الحكم في الإسلام تدميرًا كاد لا يُبقي له المِسحة الإسلامية، وحوّلته إلى ما يشبه النظام الملكي، القائم على الوراثة، فتحولت به الخلافة حقًّا إلى ملك عضوض. فقد جعل الشرع الحكم أي السلطان للأمة، وجعل لها وحدها حق نصب الحاكم، والدليل على ذلك أن الشرع جعل نصب الخليفة، إنما يكون بالبيعة من قبل الأمة، وحصره في ذلك حصرًا، وجعل الخليفة إنما يأخذ السلطان بهذه البيعة.

ومن هذا الباب أعلن الحزب موقفه من الخلافة التي أعلنها (تنظيم الدولة)، وهو موقف شرعي يستند إلى دليل شرعي؛ إذ هناك شروط يجب أن تتوفر في الخلافة حتى تصحَّ، ولو كانت توفرت تلك الشروط في تلك الخلافة التي أعلنها (تنظيم الدولة) لكان حزب التحرير أول من بايع. إلا أن هذا الإعلان جعل الحزب ينتقل مع الأمة للفصل الأخير نحو مشروع الخلافة العظيم، فقد أصبح الحديث اليوم عن تفاصيل التفاصيل، عن الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يقيم الخلافة وأن يتم الأمر عن رضى واختيار من قبل أهل الحل والعقد بشكل خاص والأمة بمجموعها بشكل عام، ومن كون أمان المكان الذي أقيمت فيه الخلافة بأمان المسلمين، وأن يكون للتنظيم الذي يقيم الخلافة سلطان ظاهر في هذا المكان يحفظ فيه أمنه في الداخل والخارج، وأن يكون هذا المكان فيه مقومات الدولة في المنطقة التي تعلن فيها الخلافة... فهذا ما كان من رسول الله ﷺ عند إقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، فقد كان السلطان فيها للرسول ﷺ والأمان الداخلي والخارجي بأمان سلطان الإسلام، وكان لها مقومات الدولة في المنطقة المحيطة. وقد بايعت الأمة رسول الله ﷺ في المدينة باعتباره حاكمًا عن رضًى واختيار.

وبهذا استطاع الحزب أن يزيل ما علق بالإسلام ونظام الحكم فيه وهو ليس منه، وفنَّد كل الأقوال التي حاولت أن تبرر لصق فكرة التغلب بالقوة بالإسلام.

٢-فكرة طاعة الحكام وعدم الخروج على من أظهر الكفر البواح:

جاء في تفسير القرطبي أن ابن خويز منداد قال: «وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان لـه فيه طاعة، ولا تجب فيما كان لـه فيه

معصيـة، ولذلـك قلنا إن ولاة زمـاننا لا تجـوز طاعتهم ولا معاونتهم ولا تعظيمهم، ويجب الغزو معهم متى غزوا»، فالقضية المركزية التي يتجاهلها من يحوِّلون «طاعة ولي الأمر» إلى عقيدة دينية، هي أن الخروج على الإمام الجائر كان مذهبًا لعدد من الصحابة ومَن بعدهم من الفقهاء في القرون الثلاثة الهجرية الأولى؛ ولذلك جاء ابن حجر العسقلاني فقال: «وهذا مذهب للسلف قديم، لكن استقر الأمر على تَرْك ذلك؛ لما رأَوه قد أفضى إلى أشدّ منه. ففي وَقعة الحَرَّة ووقعة ابن الأشعث وغيرهما عِظَة لمن تَدَبر»، أي أن مسألة الخروج - ويعنُون به هنا حصرًا الخروج المسلح لإزالة الحاكم الجائر - مسألة معقولة المعنى وتحتمل النقاش والتأويلات. وقد اتفق الفقهاء على تحريم القتال مع أئمة الجور ضد مَن خرج عليهم من أهل الحق، ومِن القتال معهم إعانتهم بكل صغيرة وكبيرة، وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾.

لقد انكشف «غلاة الطاعة» بشتى مسمياتهم (الجامية أو المداخلة) لأنهم يوظفون النصوص الشرعية الداعية إلى طاعة حكام المسلمين الذين يحكمون بالإسلام توظيفًا براغماتيًا لا يتفق مع أحكام الشريعة، وبناء عليه ففعلهم مخالف للإسلام عبر التاريخ، ويظهر عَوار مذهبهم اهتمامهم بإشاعة نصوص الطاعة وإهمال نصوص الجهر بالحق والنهي عن الظلم أو تأويلها بتعسف، وتعطيلهم لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتناقضهم في المواقف بسبب القراءة المغرضة للنصوص والتفسير النفعي لها، فلازم مذهبهم أن يؤيدوا الحاكم بعد تسلمه زمام السلطة حتى ولو حكم بغير الإسلام.

ولقد استطاع الحزب وغيره من العلماء الربَّانيِّين كشف القناع الذي تغطَّى خلفه علماء ولاة الأمر، وقاموا بالتأصيل الشرعي لمفهوم الطاعة وكيف يكون، ومن هو ولي الأمر الشرعي الذي تجب طاعته، ولقد انفضت الأمة من حول هؤلاء الحكام النواطير ومن حول علماء السلاطين أيضًا، الذين فقدوا مصداقيتهم بعد أن برروا للحكام الظلمة كل ظلمهم وفسقهم وكفرهم، فكان هذا إيذانًا بالتفاف الأمة حول حملة الدعوة الحقيقيين الذين وهبوا أنفسهم للدعوة إلى الله والعمل على تجديد دين رب العالمين وتخليصه من الأفكار المغلوطة التي علقت به.

٣-كون الديمقراطية من الإسلام:

لم تحظَ فكرة كفرية بالاهتمام والترويج والتلميع كما حظيت فكرة الديمقراطية، حتى قيل إنها بضاعتنا رُدَّت إلينا، وإن الديمقراطية هي الشورى، بل لقد حملها ونافح عنها وروَّج لها من أبناء الأمة أفراد وحركات محسوبة على التيار الإسلامي، فكانت من الأفكار الخبيثة التي تسلَّلت إلى عقول وقلوب الكثير من أبناء الأمة. وظل الحال على هذا لفترات طويلة حتى شن الحزب عليها حربًا فكرية ضروسًا بيَّنت فسادها وتهافتها ومناقضتها للإسلام. ولقد حقَّق الحزب في هذا الجانب نجاحات منقطعة النظير؛ ما أدَّى إلى وضعها ووضع أصحابها والمروجين لها في الزاوية، ولم تستطع الصمود طويلًا أمام الضربات التي وجَّهها الحزب لها، حتى سقطت من عقول وقلوب المسلمين، بل وحتى في ديارها في بلاد الغرب الكافر التي بان عوار وفساد ما تحمله من مبدأ.

ولقد أظهر الحزب ذلك من خلال إصداراته، وكان من أبرزها كتيب (الديمقراطية نظام كفر، يحرم أخذها أو تطبيقها أو الدعوة إليها) وقد ورد في مقدمة هذا الكتاب: «الديمقراطية التي سوَّقها الغرب الكافر إلى بلاد المسلمين هي نظام كفر، لا علاقة لها بالإسلام، لا من قريب، ولا من بعيد، وهي تتناقض مع أحكام الإسلام تناقضًا كليًا في الكليات وفي الجزئيات، وفي المصدر الذي جاءت منه، والعقيدة التي انبثقت عنها، والأساس الذي قامت عليه، وفي الأفكار والأنظمة التي أتت بها». وبفضل الله تراجع الكثير ممن كان يروِّج للديمقراطية عن تمسُّكه بها، خاصة بعد أن داس أصحابها عليها بالأقدام ودعموا انقلابًا دمويًا عليها قام به السيسي في مصر، كما ودعموا ديكتاتورًا حكم شعبه بالحديد والنار كبشار الأسد.

٤-تحريم الحزبية والعمل الحزبي من أجل التغيير:

أدرك الغرب من الوهلة الأولى أن المسلمين لن يتوقفوا أبدًا حتى يُعيدوا الإسلام إلى الحكم مرة ثانية، ولأنه يعلم أن هذا الأمر لا يمكن أن يتم بعمل فردي يقوم به فلان وفلان، وأنه بحاجة لعمل حزبي منظَّم يقوم به حزب سياسي يقوم على أساس مبدأ الإسلام، فقد هاجم فكرة الحزبية واستعمل لهذا الهجوم نفر من المسلمين ممن باعوا أنفسهم للشيطان. وبرغم أن الغرب اهتمَّ بالعمل الحزبي وبالأحزاب وفتح أمامها المجال واسعًا للعمل السياسي، ونظَّم الحياة السياسية في دوله على أساس التعددية السياسية؛ إلا أنه منع ذلك على المسلمين في بلادهم. ولقد رأينا كيف أن الأنظمة السياسية التي نشأت على أعين الغرب في بلادنا بعد هدم الخلافة، سمحت لكل من هبَّ ودبَّ بالعمل السياسي الحزبي القائم على أفكار الكفر كالاشتراكية والوطنية والقومية والعلمانية؛ ولكنها منعت العمل السياسي على أساس الإسلام وجرَّمته، إدراكًا منها لخطورة هذا العمل على تلك الكيانات المصطنعة العميلة التي أقامها الغرب في بلادنا لمنع وصول الإسلام إلى الحكم.

فكان حزب التحرير هو أول حزب سياسي مبدؤه الإسلام يقوم في الأمة ويعمل فيها ومعها لاستئناف الحياة الإسلامية بإقامة الخلافة الإسلامية، وإنه وإن كان قد وجدت جماعة الإخوان المسلمين قبل الحزب إلا أنها كانت مجرد جماعة دعوية وليست حزبًا سياسيًا منضبطًا، وعندما أرادت أن تقيم حزبًا سياسيًا بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير أقامت حزبًا سياسيًا على أساس وطني علماني على رأسه رجل نصراني، للدخول في اللعبة السياسية على الأساس الديمقراطي.

لقد أصَّل الحزب لفكرة العمل الحزبي، وبيَّن للأمة وجوب العمل الحزبي من أجل إقامة الدولة الإسلامية، ولم يلبث إلا قليلًا لينتظم الملايين من أبناء الأمة في أعمال حزبية تهدف إلى إعادة الأمة لسابق عهدها خير أمة أخرجت للناس، سواء في حزب التحرير أم في غيره من الأحزاب والحركات الإسلامية، ليسقط في أيدي من أضاعوا جهودهم وأقلامهم سدى في محاولة صرف الأمة عن العمل الحزبي على أساس الإسلام، ولتتبيَّن الأمة أن الحزبية الحقة هي الحزبية القائمة على أساس الإسلام، وأنها هي الطريق الوحيد الذي يمكن من خلاله إعادة الحكم بالإسلام.■ [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

شيَّبَتْني هودٌ ... فاستقمْ كما أُمِرْتَ (١)

الدكتور محمد الحوراني -الشام المباركة.

لقد مرت دعوة النبي ﷺ بعدة أطوار ومراحل، فقد بدأت بالمرحلة السرية التي دامت قرابة ثلاث سنوات وكانت هذه مرحلة التعليم والتثقيف والإعداد الفكري والروحي لكتلة الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أول من آمن به ﷺ وبدعوته. ثم بعد السنة الثالثة للبعثة، بدأت مرحلة الجهر بالدعوة، والتي بدأها سيدنا رسول الله ﷺ بالوقوف على الصفا ودعوته أهل مكة، وذلك بعد ما نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وقد اتسمت هذه المرحلة بنشر الدعوة عن طريق الصراع الفكري والكفاح السياسي، الأمر الذي أغاظ أكابر قريش فانعكس ذلك بأن ازداد الأذى والتعذيب على النبي ﷺ وصحبه الكرام بالرغم من اعتصامه ﷺ بعشيرته وحماية عمه أبو طالب له.

ولكنْ من أصعب الفترات التي مرت على النبي ﷺ على الإطلاق كانت الفترة التي سميت بعام الحزن. ففي هذا العام، توفي أبو طالب عم النبي ﷺ وتوفيت زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقد كانا سند النبي ﷺ الداخلي والخارجي.

وقد أُمر النبي ﷺ في هذه الفترة بطلب النصرة من القبائل، فقد ورد في فتح الباري شرح صحيح البخاري ما نصه: «أخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي في الدلائل بإسناد حسن عن ابن عباس، حدثني علي بن أبي طالب قال: لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على القبائل، خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى...» الحديث. ويذكر في هذا الحديث الطويل كيف كان النبي ﷺ وصاحباه يقصدون مجالس العرب بمنى بموسم الحج. ويقول المقريزي: «ثمَّ عرض ﷺ نفسه على القبائل أيَّام المواسم، ودعاهم إلى الإسلام، وهم بنو عامر، وغسَّان، وبنو فَزَارة، وبنو مرَّة، وبنو حنيفة، وبنو سُليم، وبنو عبس، وبنو نصر، وثعلبة بن عكابة، وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم، وأبو اليسر أنس بن أبي رافع» وقد استقصى الواقديُّ أخبار هذه القبائل قبيلةً قبيلةً، ويقال: إنَّه ﷺ بدأ بكندة، فدعاهم إلى الإسلام، ثمَّ أتى كلبًا، ثمَّ بني حنيفة، ثمَّ بني عامر، وجعل يقول: «مَنْ رجلٌ يحملني إلى قومه فيمنعني حتَّى أبلغ رسالة ربِّي؛ فإنَّ قريشًا قد منعوني أن أبلِّغ رسالة ربِّي؟» هذا وأبو لهب وراءه يقول للنَّاس: لا تسمعوا منه؛ فإنَّه كذَّاب» [أحمد (٤٩٢/٣، ٤٩٣) وابن هشام (٦٤/٢ - ٦٥].

لقد كان طلب النصرة من القبائل أميزَ عملٍ أُمر به النبي ﷺ في هذه الفترة الحرجة، وقد ذهب ﷺ إلى الطائف بداية

الأمر وخاطر بالخروج من مكة لما لهذا الخروج من تبعات، لكن أمله في العثور على من ينصره في الطائف جعله يقوم بذلك؛ لكن زعماء الطائف كانوا على درجة من السوء والحقد، فقد قاموا بفضح أمر النبي ﷺ وسلَّطوا عليه وعلى مرافقه زيد بن الحارثة رضي الله عنه السفهاء والعبيد فرموهما بالحجارة حتى أدمَوا قدميه الشريفتين في موقف شديد الأسى والحزن في يوم كان من أشد أيام دعوته صلى الله عليه وسلم.

فطلب النصرة ليس بالأمر السهل، فهو طلبٌ من أصحاب القوة والملك بأن يتخلُّوا عن مفاهيمهم ومعتقداتهم بل وعن سلطانهم ويسلموك قيادتهم وينزلوا تحت سلطانك. وواقع حال النبي ﷺ أنه مستضعفٌ في قومه لا يملك من الأمر شيئًا، هكذا ينظر من قَصُرَ نظره عن عِظمِ المبدأ الذي يحمله هذا النبي ﷺ وكذلك يفعل من ينتهج نفس التفكير للأسف من الذين يَعدُّون أنفسهم يعملون في الشأن الإسلامي في وقتنا الحاضر.

ولما رجع النبي ﷺ إلى مكة ودخلها بجوار المـُطعِم بن عَديّ بعد أن ساقه الله عز وجل لنبيه ليحميه ويدخله في جواره، لم تمضِ فترة قصيرة وهو في مكة حتى أرسل الله عز وجل نبيه ﷺ في رحلة عظيمة يثبّت فيها نفس النبي ﷺ وينسيه ما حل به بعد تجربة الطائف الشاقة، فكانت رحلة الإسراء والمعراج، التي رأى فيها النبي ﷺ الآيات الكبرى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ وأُنزلت بعد ذلك سورة الإسراء التي يقول فيها الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾.

لقد كان الأذى الذي لقيه النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم فظيعًا، خصوصًا في هذه الفترة، فلم تنل قريش منه ﷺ إلا في هذه الفترة؛ إذ إنها أدركت أن النبي ﷺ بدأ بتحييدها، فهو يتقصد القبائل من حيث هي كيانات، ويتقصد الرؤساء والسادة والأشراف ومن لهم مكانة، فهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا وتصدَّى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده. فقريش تعلم مدى خطورة دعوته ﷺ، ويعلم أسيادها أن هذه الدعوة إن وجدت المنعة المطلوبة فستقلب الطاولة، ليس على جبابرة قريش فحسب بل على كل جبار عنيد.

فما وجدت قريش وأسيادها للحيلولة دون أن يحصل النبي ﷺ على المنعة والنصرة المطلوبة إلا زيادة الضغط عليه وعلى أصحابه الكرام، ومحاولة منع اتصاله ﷺ بالناس، وإذا حصل اللقاء، فمحاولة إفشاله بشتى الطرق، حتى إن عمه أبا لهب كان يسير وراءه وهو يقول للنَّاس: لا تسمعوا منه؛ فإنَّه كذاب. وقد كان أبو جهل، وأبو لهب - لعنهما الله - يتناوبان على أذيَّة رسول الله ﷺ عندما يدعو في الأسواق والمواسم، وكان يجد منهما عنتًا كبيرًا إضافةً إلى ما يلحقه من المدعوِّين

أنفسهم.

وظلَّ النَّبيُّ ﷺ في تردُّده على القبائل يدعوهم، فيردُّون عليه أقبح الرَّدِّ، ويؤذونه، ويقولون: قومه أعلم به، وكيف يُصلحنا مَنْ أفسد قومه؟! فلفظوه، وكانت الشَّائعات الَّتي تنشرها قريشٌ في أوساط الحجَّاج تجد رواجًا، وقبولًا، مثل: الصابئ، وغلام بني هاشم الذي يزعم أنَّه رسول، وغير ذلك، ولا شكَّ: أنَّ هذا كان ممَّا يحزُّ في نفس الرَّسول ﷺ، ويضاعف من ألم التَّكذيب وعدم الاستجابة.

في هذه الأثناء «في عام الحزن» أنزل الله سبحانه وتعالى ثلاث سور تحمل أسماء أنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهي سور يونس وهود ويوسف، هذه السور من جملة ما نزل من آيات القرآن التي حملت طابع هذه الفترة، وعكست معالمها مدى تحدِّي قريش وتعدِّيها، فهذه الفترة هي من أحرج الفترات وأشقها كما أسلفنا في تاريخ الدعوة، وخاصة بعد حادثة الإسراء والمعراج وغرابتها، واستهزاء المشركين به، وارتداد بعض من كانوا قد أسلموا قبلها - يضاف إلى ذلك وحشة رسول الله ﷺ بفقد خديجة - رضي الله عنها - زد على ذلك تجرؤ قريش عليه وعلى دعوته حيث بلغت الحرب المعلنة عليه وعلى دعوته أقسى وأقصى مداها؛ وتجمَّدت حركة الدعوة حتى ما كاد يدخل في الإسلام أحد من مكة وما حولها.

فآثار هذه الفترة وجوّها واضحة في جو هذه السور وظلالها وموضوعاتها! وبخاصة ما يتعلق بتثبيت رسول الله ﷺ والذين معه على الحق؛ والتسرية عنه مما يساور قلبه من الوحشة والضيق والغربة في ذلك المجتمع الذي تحجَّر في وجه دعوته ﷺ. والذي زاد في إضفاء الملامح العاصفة على جو هذه المرحلة ما ورد عن النبي ﷺ حيث قال: «**شيبتني هود**» فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزل على النبي ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾. إنّ آيات هذه السور قد واكبت الأحداث في هذه الفترة وعالجتها، ورسمت وأكدت على ضرورة سير النبي ﷺ وفق الطريقة التي أمره الله عز وجل أن ينتهجها، ليس هو فحسب، بل وكل من تاب معه، وكل من سار على دربه يبتغي التغيير وينشده، تغيير مجتمع الكفر والجاهلية إلى مجتمع يحتكم إلى شريعة الله وأحكامه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ فقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وسنجمل ما تحدثت به الآيات التي نزلت في هذه الفترة بشكل عام وهذه السور الثلاث بشكل خاص بالأمور التالية:

أولًا: الاستقامة على منهج الله سبب النصر

لقد كان ينقص دعوةَ النبي ﷺ في هذه الفترة قوةٌ تنصرها وتمنعها حتى تقيم دين الله عز وجل، فإن هذا الدين لا يمكن أن يؤثر في الحياة التأثير الحقيقي إلا إذا كان له سلطان ودولة تقوم على فكرته الأساسية التي هي «لا

إله إلا الله، محمد رسول الله» وتطبِّق شريعته على الناس، وتنشر هذه الدعوة بالجهاد إلى جميع أصقاع المعمورة. وقد كان الأمر الإلهي للنبي ﷺ بتحصيل هذه القوة من طريق العرض على القبائل وطلب النصرة منهم، وهذا ما دفع النبي ﷺ للخروج من مكة إلى الطائف في بداية الأمر.

لكن ما حصل للنبي ﷺ في الطائف لم يكن بحسبانه ﷺ، فقد كان وقعه على نفسه ﷺ شديدًا جدًا، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال ﷺ: **لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال له رسول الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا.**

وقد كان رسول الله ﷺ قد دعا الله عز وجل بدعائه المشهور وقت ذلك حيث قال ﷺ: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزلَ بي غضبَك، أو تُحلَّ عليَّ سخطَك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك**». فدعاؤه ﷺ يكشف مدى الضيق ومدى الأذى النفسي الذي اعتراه، بعد هذه الحادثة. ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل لقي الرسول ﷺ من قومه أصنافًا من العذاب والأذى، فقد روى البخاريُّ في تاريخه، والطَّبرانيُّ في الكبير عن مدرك بن منيب أيضًا، عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنه أنه قال: رأيت رسول ﷺ في الجاهليَّة، وهو يقول: «**يا أيها النَّاس! قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» فمنهم من تفلَ في وجهه، ومنهم من حثا عليه التُّراب، ومنهم من سبَّه؛ حتَّى انتصف النَّهار، فأقبلت جاريةٌ بِعُسٍّ من ماءٍ، فغسل وجهه ويديه، وقال: «**يا بنية! لا تَخْشَيْ على أبيك غلبةً، ولا ذلَّةً!**» فقلت: من هذه؟ قالوا: زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي جاريةٌ وضيئةٌ. [البخاري في التاريخ الكبير (١٤/٢/٤) والطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/٢٠)

ومجمع الزوائد (٢١/٦)].

وبالرغم من شدة الأذى الذي أصاب رسول الله ﷺ في هذه الفترة إلا أننا نراه مستقيمًا ثابتًا على طريقته، متمسكًا بها لا يحيد عنها قدر أنملة، بينما حدثتنا آيات هذه السور التي نزلت في هذه الفترة عمّا قام به بعض النبيين عليهم السلام من قبله وذلك خلافًا للأولى، قال تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ٨٨ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ٨٩﴾ فهذه الآيات تحدثنا عن استعجال رسولَي الله عليهما السلام بالنصر وطلب وقوع هلاك القوم الكافرين؛ لكن الله سبحانه عاتبهما وذكّرهما بضرورة الاستقامة على طريق الدعوة، مع أنه سبحانه وتعالى قد أخبرهما بأنه قد استجاب دعوتهما؛ لكن تحقيق ذلك لم يأتِ إلا بعد أربعين عامًا حسبما ذكر أغلب المفسرين. بينما نجد النبي ﷺ عندما جاءه جبريل مع ملك الجبال وعرض عليه إطباق الأخشبين على أهل الطائف الذين كذَّبوه وآذَوه، رفض ذلك وقال كلمته: «**أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئًا**» وصدق الله العظيم فقد وصف نبيه ﷺ بالرؤوف الرحيم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾.

كما وقد حدثتنا آيات هذه السور عن نبي الله يونس عليه السلام، حيث استعجل الخروج من قومه ظانًّا أن عذاب الله عز وجل قد وقع عليهم لا محالة، ولكن ما حدث مخالفٌ لما ظنَّه يونس عليه السلام، فقد سارع قوم يونس فآمنوا قبيل نزول العذاب عليهم بقليل، فرفع الله عنهم العذاب ومتعهم إلى حين، فقد استحق نبيُّ الله يونس عليه السلام اللوم على عمله هذا وعوقب بأن التقمه الحوت وهو مُليم، ولولا أنه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون.

وكذلك حدثتنا آيات هذه السور عن نبي الله لوط عليه السلام لَمَّا رَأَى اسْتِمْرَارَ قومه فِي غَيِّهِمْ، وَضَعُفَ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى دَفْعِهِمْ، تَمَنَّى لَوْ وَجَدَ عَوْنًا عَلَى رَدِّهِمْ، فَقَالَ عَلَى جِهَةِ التَّفَجُّعِ وَالِاسْتِكَانَةِ: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾فقد تمنَّى أن تكون له قُوَّة أَيْ أنصارٌ وأعوانٌ، وَمُرَادُ لُوطٍ بِالرُّكْنِ الْعَشِيرَةُ، وَالْمَنَعَةُ بِالْكَثْرَةِ» كما ذكر القرطبي في تفسيره. وقد قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «**يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ...**»

لم تكتفِ آيات هذه السور بالطلب من النبي ﷺ الاستقامة على طريقة الدعوة للتمكين فحسب، بل وحذرته ﷺ من أمور قد تخطر على بال حملة الدعوة، راسمةً له ﷺ طريق دعوته بدقة متناهية، فقد قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ

إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾. فذكرت هذه الآيات بعض موانع النصر ومنها الطغيان، والركون إلى الذين ظلموا، ولم تقل إلى الظالمين فحسب. كما أن بيان هذه الطريقة والإشارة إليها وطلب الاستقامة عليها لم يقتصر على السور والآيات التي نزلت في هذه الفترة «عام الحزن» بل بقيت تتنزَّل الإشارات والتوجيهات حتى قبيل إقامة دولة المدينة وقبيل هجرته ﷺ فقد أنزل الله في سورة الشورى: ﴿۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ وقال سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ **ففي هذه الآية يبين الله عز وجل لرسوله** ﷺ مهمته بدقة متناهية، وهي أن الله قد أمر نبيه ﷺ أن يعدل بينهم، أي أن يقيم فيهم شرعه ويطبق عليكم أحكام شريعته التي هي عنوان العدل «**وأُمرت لأعدل بينكم**» ولن يكون ذلك إلا بإقامة سلطان الإسلام من خلال دولة تقيم أحكامه.

فمنهج الله سبحانه إنما أنزله لرفع الظلم والطغيان، وليس بهما ينتصر؛ ولهذا لم يستعِن النبي ﷺ بالذين ظلموا على كفار قريش، فلم يستعن بالروم النصرانية، ولا بملك الحبشة النصراني بالرغم من وصف النبي ﷺ له: «**إنه لا يظلم جواره**»، وهنا لا بد من التذكير بحال العاملين في الشأن السياسي الإسلامي، وخاصة من وقع في حبال الاستعانة والركون إلى الذين ظلموا، فتلقَّوا منهم المال السياسي القذِر، فإذا هم مكبَّلون به، الأمر الذي أدى بهم إلى الطغيان، فسفكوا الدم الحرام، ودخلوا في نفق التنازلات، فضاعوا وضيّعوا، فأصبحوا عبئًا كبيرًا على الأمة، وعقبةً في طريق استرجاعها لهويتها ولسلطانها.

وقد بقي رسول الله ﷺ مواظبًا على الطريقة مستقيمًا كما أمره الله عز وجل بالرغم من كل الأذى الذي لاقاه؛ لكننا قد رأيناه ﷺ يتفنَّن في أساليب طلب النصرة، فقد كان يأتي القبائل في منازلهم محاولًا الوصول إليها بعيدًا عن أعين قريش، حتى لو اضطر لأن يأتيهم في الليل. هذا وقد خاض مع زعماء القبائل الذين التقى بهم، مفاوضات شاقة ونقاشات، وقد تعرض كذلك لمساومات وإغراءات، في الوقت الذي كان أشد ما يكون بحاجة لمن ينصره ويمنعه، في هذه الفترة الحرجة من الدعوة؛ لكنه ﷺ رفض كل تنازل مهما كان بسيطًا، فقد رفض إعطاء وفد قبيلة عامر بن صعصعة أي امتيازات مقابل نصرة مؤزّرة! ولسان حاله يقول «لا بد أن الله ناصر دينه». وكذلك رفض

ﷺ نصرةً منقوصةً عرضها عليه مفاوضو وفد بني شيبان، مفصحين له عن وضعهم مع كسرى ملك الفرس؛ إذ قالوا للنبي ﷺ: «وإنَّا إنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى، ألا نحدث حدثًا، ولا نُؤوِيَ مُحدِثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نُؤويك وننصرك ممَّا يلي مياه العرب فعلنا».

فقال رسول الله ﷺ: «**ما أسأتم في الردِّ إذ أفصحتم بالصِّدق، وإنَّ دين الله - عزَّ وجلَّ - لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلًا حتَّى يورِّثكم الله تعالى أرضهم وديارهم، ويفرشكم نساءهم، أتسبِّحون الله وتقدِّسونه؟**» فقال النُّعمان بن شريك: «اللَّهمَّ فلك ذاك». [أبو نعيم في دلائل النبوة (٢١٤)].

فالنبي ﷺ يحدثهم «وهم الكفار» حديث الواثق بنصر ربه عز وجل، ويصوِّر لهم أن أمر الله نافذ لا محالة، وأنها مسألة وقت ليس إلا، فما عليكم إن أردتم العزة إلا أن تنصروني وتمنعوني!!

فحريٌّ بالمسلمين، وخاصة حملة الدعوة في هذه الأيام، التزام هذه الطريقة التي أمر الله بها، وحريٌّ بالمسلمين نصرة هذا الدين وخاصة أهل القوة والمنعة، قادة جيوش المسلمين، فإنه لن يُمكَّن هذا الدين إلا وفق هذه الطريقة، ولن يَنصرَ دينَ الله إلا أبناؤه من أصحاب القوة، هذه هي طريقة إقامة الدين التي أمر الله رسوله ﷺ بها، وكذا هي طريقة إقامة دولته!.

ثانيًا: إفراغ الوسع في الدعوة:

عندما يأمر الله عباده بأمر ما، فليعلموا أن الخير كل الخير فيما أمر الله سبحانه وتعالى، فيجب عليهم أن يبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تنفيذ ذلك الأمر وتحقيق الهدف الذي جعل الله عز وجل فيه سعادة الإنسان في الدنيا، وكذلك سعادته ونجاته في الآخرة؛ لهذا كان لزامًا على حامل الدعوة أن لا يكلَّ ولا يملَّ وأن يستمر مثابرًا في عمله، ماضيًا في طريقته التي اختارها الله له حتى يصل مبتغاه.

فحملة الدعوة ديدنهم دعوتهم، في الليل والنهار، في كدّهم وراحتهم، في حلّهم وترحالهم. فآيات القرآن تخبرنا عن يوسف عليه السلام بأن فترة السجن على الرغم من شدتها على النفس كانت توطئةً للتمكين، على عكس الفترة التي قضاها عليه السلام في بيت عزيز مصر، الذي واقعه أقرب للمُلك، ولكن كان مآل هذه الفترة هو السجن!! لهذا وجب على حملة الدعوة أن ينتبهوا لهذا الأمر، وأن الإنسان لن يصل بعقله إلى تمييز الخير من الشر، فما على المسلم إلا التزام أمر الله فحسب، فأمر الله أحق أن يتبع. وإفراغ الوسع في العمل هو السبيل لتحقيق الهدف، فلن يصل إلى الهدف متوانٍ ولا متكاسلٌ، وآياتُ القرآن تنطق بذلك وخصوصًا في هذه المرحلة التي نحن بصددها فهي تشير لذلك وتنبه إليه، وتعِد العاملين

المؤمنين المحسنين إحدى الحسنيين.

فقد نزلت سورة الفرقان قبل سورة الإسراء، وفيها يقول الله عز وجل مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ فمقارعة الكفر تحتاج مجاهدةً بل وجهادًا كبيرًا، وهو عين إفراغ الوسع، وتحتاج إيمانًا قويًا ثابتًا، بل تحتاج الإحسان، وهو أعلى درجات الإيمان بالله. قال تعالى: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

فإحسان العمل أو الإحسان فيه يجب أن يكون صفة حامل الدعوة، فلا يكفي مجرد القيام بعملٍ ما لاستحقاق نصر الله عز وجل، بل لا بد من الإحسان في ذلك، بل يجب أن يكون الإحسان شيمة حامل الدعوة، مهما تعقَّد المشهد حوله، ومهما واجه من صعوبات، بل حتى لو تسيَّد وعلت مراتبه، فآيات الله تخبرنا بأن الإحسان كان ظاهرًا على نبي الله يوسف عليه السلام طيلة حياته التي شهدت تقلبات حادة، فقد كان من المحسنين وهو في بيت العزيز عبدًا مملوكًا، وكذلك كان الإحسان ظاهرًا عليه وهو في غياهب السجن، وهو سجينٌ مظلومٌ، بل أبعد من ذلك فقد كان ظاهرًا عليه الإحسان وهو عزيزٌ عند الملك. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ .

فمن قام بأداء مهمته في حمل الدعوة ووصل إلى الإحسان في ذلك، فما بقي له إلا أن ينتظر إنجاز وعد الله سبحانه وتعالى، فقد وعد الله عز وجل ووعده الحق، وعد عباده المؤمنين بالتمكين والنصر، فضلًا عن أنه سبحانه لن يضيع عمل المحسنين في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ فبذل الوسع في العمل والإحسان فيه يجب أن يكون سجية حامل الدعوة. كيف لا، وهو الداعي إلى منهج الحق، والحامل لمشعل النور الذي يهدي به الله طريق الناس، ويبدد به ظلماتهم.

روى البخاري عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».■ [يتبع]

السودان سمح لوفد (إسرائيلي) بزيارة منظومة الصناعات الدفاعية

كشف عضو مجلس السيادة السوداني محمد الفكي سليمان في مقابلة مع صحيفة «حكايات» الخاصة أن وفدًا (إسرائيليًا) وصل إلى الخرطوم مؤخرًا وزار منظومة الصناعات الدفاعية التابعة للقوات المسلحة. وقال إن الزيارة «ذات طبيعة عسكرية بحتة، وليست زيارة سياسية، ولا يمكن الحديث عنها في الوقت الحالي" وأضاف أن «الوفد الإسرائيلي بدأ زيارته للسودان بالطواف على منظومة الصناعات الدفاعية التابعة للقوات المسلحة، والتقى فيها بعسكريين» دون تفاصيل عن تلك المنظومة، ودون ذكر توقيتات محددة لزيارة الوفد. وسبق أن أعلنت الاثنين الماضي في ٢٠٢٠/١١/٣٠، هيئة البث العبرية «كان» أن «وفدًا إسرائيليًا غادر إلى السودان» لكن مجلس الوزراء السوداني نفى في اليوم ذاته علمه بزيارة الوفد للبلاد. ونقل موقع «سودان تربيون» عن وزير الإعلام، المتحدث باسم الحكومة، فيصل محمد صالح، قوله آنذاك: «مجلس الوزراء ليس لديه أي علم بزيارة وفد إسرائيلي» وأضاف صالح: «لم تنسق معنا أية جهة في الدولة بشأنها، ولا نعلم بتكوين الوفد، ولا الجهة التي دعته واستقبلته».

الوعي: عندما ترى أن هناك اضطرابًا في التصريحات حول أي حدث فمعنى ذلك أن هناك فعلًا خيانيًا يجري التستر عليه، واللافت هنا أن التطبيع الذي جرى بين السودان والكيان المسخ هو تطبيع شامل على كل الأصعدة السياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية والأمنية والشعبية، وقد أخذ وقتًا طويلًا قبل أن يجري الإعلان عنه. وهل يمكن تفسير هذه الزيارة إلا أنها تكشف أمام العدو مراكز قوتها، وهذا يعد خيانة؛ ولهذا ينفونه.

«كنا نظن أننا خارقون»... كورونا يعصف بكهنة اليونان بعد تجاهلهم التحذيرات

انتشر فيروس كورونا بين صفوف الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، بينما توجَّه لرجالها انتقادات تقول إنهم أحد أسباب تفشي الوباء في البلد، ويبدو أن تحدي القساوسة المتشددين للإجراءات الحكومية وتمسكهم بإقامة طقوس التناول حيث يتم إطعام المصلين خبزًا سراريًا منقوعًا في النبيذ من ملعقة واحدة قد قوَّض كل الإجراءات الصحية، بل ذهب العديد منهم إلى حد الإصرار على أن الإيمان بطقس التناول يمكن أن يحمي الناس من الفيروس. وتأتي أشد الانتقادات للكنيسة من داخل صفوفها، فقد قال الأسقف أنثيموس: «كنا نعتقد أننا رجال خارقون، لقد أخفينا حقيقة أننا أصبنا بالفيروس ووصلنا إلى القبر» وذكر القس جورجيوس

ميلكاس عالم اللاهوت من ثيسالونيكي لوكالة أسوشيتيد برس في مايو: «ليس هناك ذرة من الشك في نقل هذا الفيروس عن طريق التناول في الكأس المقدسة» وقال جورج ديماكوبولوس المدير المشارك لمركز الدراسات المسيحية الأرثوذكسية بجامعة فوردهام: «يبدو أن بعض رجال الدين، بمن فيهم الكهنوت، يتصرفون كما لو كانوا يعتقدون أنهم محصنون ضد المرض. نحن نشهد النتائج المأساوية لهذا النوع من التفكير».

الوعي: لطالما قامت الكنيسة على مقولة اصطدام العلم بالدين بخلاف الإسلام (قال المجمع المقدس، الهيئة الحاكمة للكنيسة، إن أي حديث عن المرض يمكن أن ينتقل من خلال طقس التناول هو تجديف) وها هي تهزم مرة أخرى في عقر دارها وتسبب الموت لأتباعها... ومرة أخرى يثبت الإسلام أنه الدين الذي يتخذ من العلم قوة لنشر الحق وإبطال الباطل.

الغارديان: مطالبة بتسليم بيانات مسلمين بيعت للجيش الأمريكي

قالت صحيفة «الغارديان» البريطانية، في تقرير ترجمته «عربي٢١»، إن اتحاد الحريات المدنية الأمريكي سعى بالتعاون مع سيتي يونيفرستي، في نيويورك، للحصول على بيانات جمعت على مدى ٣ أعوام من تطبيق «مسلم برو» الذي يستخدمه ما يقرب من ١٠٠ مليون مسلم، ويستخدم لتحديد مكان القبلة، ومواقيت الصلاة ويعطي معلومات عن محلات الحلال المتوفرة وموعد صيام رمضان؛ حيث كشف أن شركة تكنولوجية واحدة مرتبطة بتطبيق «مسلم برو» باعت بيانات مواقع شخصية لمستخدميه إلى متعهدين دفاعيين وعسكريين أمريكيين، وتقدم الاتحاد بالطلب لمعرفة كيفية استخدام الحكومة الأمريكية لبياناته. وفي تغريدة على تويتر قال مجلس الحريات المدنية الأمريكي: «حصاد البيانات المتعلقة بمستخدمي تطبيق مسلم برو حول العالم هو تهديد خطير للخصوصية والحرية الدينية" وجاء فيه: «هذه خيانة جديدة للثقة للمجتمعات التي تعاني من تدخل طويل في حياتها، وعادة من وكالات الحكومة الأمريكية وبطريقة غير دستورية في غالب الأحيان» وفي الطلب المقدم ضد ١٠ وكالات فدرالية بمن فيها كل فروع الجيش والمخابرات الأمريكية (سي آي إيه) ومكتب التحقيقات الفدرالي (أف بي آي) زعم أن بيع البيانات هو تمييز ضد المسلمين وخرق للتعديل الرابع في الدستور الأمريكي والذي يحظر المصادرة والتفتيش غير المنطقي. ووعد السناتور رون ويدن، الديمقراطي عن ولاية أوريغان بالتحقيق في قيام وزارة الأمن الداخلي بالاستفادة من بيانات جمعت من هواتف نقالة بدون بلاغات تفتيش.

الوعي: إن مثل هذه الأخبار، وما أكثرها، تكشف أن دول الغرب التي تدعي حماية الحريات والحفاظ على حقوق الإنسان، هي أفسد من عليها، وهي سبب مآسي العالم... ولا بد من تغييرها وتغيير الحضارة القائمة عليها.

الغارديان: وسائل إعلام الملياردير «مردوخ» تنقلب على ترامب

سلطت صحيفة «الغارديان» البريطانية الضوء على انقلاب العديد من وسائل الإعلام الأمريكية المحافظة المملوكة للملياردير «روبرت مردوخ» على الرئيس دونالد ترامب قبل الإعلان الرسمي عن فوز غريمه الديمقراطي، جو بايدن. ولفتت الصحيفة إلى أن الرسائل الجديدة منسقة وليست عفوية، وتتضمن مناشدة ترامب للحفاظ على «إرثه» من خلال إظهار سلاسة في عملية تسليم السلطة. وشملت تلك الرسائل كلًّا من «فوكس نيوز" و»وول ستريت جورنال" و»نيويورك بوست» التي يتابعها ترامب «بشغف» وفق الغارديان، ولا سيما "فوكس" ولفتت الصحيفة إلى أن إحدى مذيعات «فوكس" وهي «لورا إنغراهام» التي لطالما وصفت بـ»المقربة» من ترامب، تحدثت بنبرة مختلفة تمامًا مع ظهور أن رئيسها على أعتاب الهزيمة، وبدا حديثها كأنه موجَّه له شخصيًا؛ حيث نصحته بقبول الهزيمة، والحفاظ على إرثه، ومساعدة البلاد بالمضي للأمام. ونشرت صحيفة «وول ستريت جورنال» مقال رأي بنفس الرسالة تقريبًا تحت عنوان: «نهاية اللعبة الرئاسية». فيما صدرت صحيفة «نيويورك بوست» التي كانت قبل الانتخابات وسيلة إطلاق الهجمات الجامحة على بايدن وابنه هانتر، معلنة في صفحتها الأولى فوز المرشح الديمقراطي. وأفادت «نيويورك تايمز»، نقلًا عن موظفين مجهولين في «نيويورك بوست»، أن كبار المحررين في الصحيفة «قالوا لبعض الموظفين هذا الأسبوع أن يكونوا أكثر صرامة في تغطيتهم» لترامب. وعلقت نيويورك تايمز: «في يوم الخميس، وفي تغيير مفاجئ، نشرت صحيفة التابلويد المثيرة للجدل، لمالكها روبرت مردوخ، مقالين بنبرة مختلفة تمامًا». واتهم أحدهما الرئيس بتقديم ادعاء لا أساس له من أن الخصوم السياسيين كانوا يحاولون سرقة الانتخابات، فيما وصف العنوان الرئيسي الآخر دونالد ترامب جونيور بأنه مؤلف لتغريدة غير مفهومة ومذعور.

الوعي: نقول، وعلى ذمة الغارديان، هذا هو خلق اليهود فلا عجب: مكر وكيد ونكث وإخلاف في العهود ونقض للمواثيق... وواضح أن موقف صاحب الإمبراطورية الإعلامية مردوخ هذا تغيَّر قبيل النتائج بعد أن أصبحت شبه معروفة.

غرائب مقاطعة فرنسا ولغتها ومنتوجاتها احتجاجا على تصريحات ماكرون

نقلًا عن «القدس العربي» تفنَّن معارضو تصريحات ماكرون حول ما سماه «أزمة الإسلام والإسلام الانعزالي» في التعبير عن مقاطعتهم لفرنسا ومنتوجاتها ولغتها وكل ما يمت لها بصلة... ففي السنغال أعاد الكاتب الفرانكوفوني البارز ووزير الثقافة السنغالي الأسبق أحمد تيجان وون

جميع ميداليات التكريم التي وشَّحته بها الحكومة الفرنسية في السنوات السابقة، مؤكدًا أنها «لم تعد تشرِّفه بعد صدور تصريحات ماكرون حول الإسلام دين التسامح» وقال: «شرف الدفاع عن قدسية النبي محمد عليه الصلاة والسلام أهم عندي من الافتخار بتمييز فرنسي مؤقت، فأنا مسلم أكرر كل وقت لا إله إلا الله محمد رسول الله» وأكد وون: «على فرنسا أن تعلم أنني أفريقي أسود مسلم، وأنني مع أخوتي المليارين عبر العالم، أولي وجهي يوميًا خمس مرات شطر الكعبة المشرفة لأؤكد إيماني وعبوديتي لله عبر التعاليم التي بلغها عنه نبي الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم» وقال: «إنكم، يا فرنسيين، تعتبروننا أناسًا متخلِّفين، ولن أخبركم بنظرتنا لكم، لكنني أؤكد أن التسامح الديني هو شعار ديننا الإسلام، آخر دين أنزله الله على الأرض». وأضاف تيجان وون في رسالة بعث بها إلى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون أنه «لا يتشرف بأن يتقاسم نفس الوسام مع صامويل باتي المعلم الذي عرض الرسوم على الأطفال لأسباب عميقة ومقدسة» متهمًا ماكرون بـ «السعي إلى تحويل المتهورين إلى أبطال»... وفي موريتانيا تتواصل المقاطعة، فقد أوقف النائب البرلماني محمد بوي ولد الشيخ محمد فاضل جلسة من جلسات البرلمان محتجًا على مداخلة قدمها أمام النواب وزير الشؤون الاقتصادية وترقية القطاعات الإنتاجية الموريتاني كان ممدو عثمان باللغة الفرنسية، مشددًا على أنه لن يقبل الحديث في البرلمان بلغة المستعمر ولا لغة من يسيئون للإسلام... وفي مقال تابعه الكثيرون، طالب محمد الأمين الفاضل رئيس حملة «معًا لمكافحة الفساد» بالتخلي عن اللغة الفرنسية وقال: «لا معنى لأن تبقى اللغة الفرنسية هي لغة الإدارة في موريتانيا، فلا الدستور الموريتاني يلزمنا باستخدامها، ولا الماضي الاستعماري لفرنسا، ولا حاضر فرنسا ومواقفها المسيئة لديننا الإسلامي يدعو للتمسك بلغتها»... وإضافة لهذه المواقف، يواصل شباب العاصمة الموريتانية نواكشوط جولات ضد شراء الأسر الموريتانية، مع افتتاح العام الدراسي الجديد، للأدوات المدرسية المصنوعة في فرنسا. وقد سجلت حالات خلاف عائلي في السنغال وموريتانيا بسبب استعمال النساء لعطور ومنتجات ماكياج مصنوعة في فرنسا، حيث يرفض الأزواج استعمالها من طرف الزوجات. واختفت من رفوف عديد الصيدليات الموريتانية الأدوية المصنوعة في فرنسا. ووصلت حملة المقاطعة درجة جعلت النشطاء فيها يلصقون بيانات التحذير من المنتجات الفرنسية على مداخل البقالات والصيدليات والأسواق والمساجد.

الوعي: إن الأمة حية بدينها، وهذه المقاطعة مطلوبة وبقوة، والأقوى منها والمبرئ للذمة أمام الله هو إسقاط صنائعها من الحكام، وإقامة حكم الله في الأرض الذي يعز به الإسلام وأهله ويذل به الكفر وأهله.

بسم الله الرحمن الرحيم

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه (١)

قال الله تعالى

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ أي صدَّق جازمًا وأيقن.

أخرج أبو عوانة في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ قرأها رسول الله ﷺ فلما قال: غفرانك ربنا، قال الله: قد غفرت لك.

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ أي القرآن الكريم.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ معطوف على الرسول ﷺ.

﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ أي كلّ واحد منهم، للدلالة على أن الإيمان لا يكون إيمانًا جماعيًا بل يتعلق بكل واحد على حدة، ولذلك لم يرد في الآية الكريمة (آمنوا) بجمع الضمير مع أنه يعود عليهم، ولكن قال سبحانه: ﴿ءَامَنَ﴾ بتوحيد الضمير لأن الإيمان يتعلق بكلّ فرد منهم.

وعطف ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ على ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ هو الراجح، فهو أرجح من القول بأن ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ مبتدأ أي (الواو) للاستئناف وذلك لأنها: بالعطف تعني أن إيمان رسول الله ﷺ بما أنزل - القرآن - هو الأصل والمؤمنون تابعون له، فهم قد آمنوا بالقرآن الكريم بدعوة رسول الله ﷺ لهم، فالوحي بالقرآن على رسول الله ﷺ سابق لإيمان المؤمنين بالقرآن الكريم، أما لو كانت (الواو) للاستئناف أي: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾.

﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ﴾ يكون الإخبار عن إيمان رسول الله ﷺ بجملة فعلية وعن إيمان المؤمنين بجملة اسمية والجملة الاسمية أقوى، وهذا لا يناسب نزول القرآن على رسول الله ﷺ أولًا، ثم إيمان المؤمنين بالقرآن بعد ذلك؛ ولذلك فالوقوف بعد ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ أرجح من الوقوف بعد ﴿رَّبِّهِۦ﴾.

﴿ كُلٌّ ءَامَنَ ﴾ جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر، ولا تكون ﴿كُلٌّ﴾ تأكيدًا لـ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لأن (كل) لا تكون تأكيدًا إلا إذا أضيفت لضمير المؤكد وهي هنا ليست كذلك، فتكون كما قلنا مستأنفة مبتدأ وخبر.

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي سماع قبول واستجابة وتقديم السمع على الطاعة لأن التكليف طريقه السمع والطاعة بعده.

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ أي اغفر غفرانك، فغفران مصدر في مقام المفعول المطلق أي نائب عن فعله.

﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ أي الرجوع بالموت والبعث.

٣. وفي الآية الخاتمة لسورة البقرة ما سماه المؤمنون فرجًا، فقد جعل الله الحساب والعقاب على ما يظهر على الجوارح من أفعال وأقوال دون ما يبقى خافيًا في الصدور لا يظهر بقول أو فعل.

ثم ما أجراه الله على ألسنة الرسول ﷺ والمؤمنين بأن لا يؤاخذنا الله سبحانه بالنسيان والخطأ، وأن لا يأخذ علينا من العهود ما يثقل كاهلنا ولا يكلفنا بما لا نطيق، وأن يشملنا سبحانه بعفوه ومغفرته وينصرنا على القوم الكافرين، ثم البشرى باستجابة الله لرسوله والمؤمنين إنه سبحانه البرّ الغفور الرحيم.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي لا يكلف الله إلا بما في الوسع، والوسع ما تسعه قدرة الإنسان دون أن يبلغ مدى الطاقة أي أقصاها، فالله سبحانه كلفنا بالصلاة والصيام ولكنها أقل من مدى الطاقة، فنحن نستطيع الصلاة والصيام أكثر مما كلفنا به ولكن الله سبحانه كلفنا بالوسع فقط دون مدى الطاقة.

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ أي يحاسبها على ما ظهر على الجوارح من عمل أو قول مثوبة على الخير وعقوبة على الشر. أخرج ابن جرير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ قال: عمل اليد والرِّجل واللسان.

وكانت هذه الآية فرجًا على المسلمين؛ لأن الله سبحانه تجاوز بها عما دار في نفوسهم من شر لم يظهروه بقول أو فعل، فإنه سبحانه لم يكلفهم إلا بالوسع ولم يحاسبهم إلا على ما أظهروه من قول أو فعل دون ما بقي خافيًا في الصدور ما دام متعلقًا بالأحكام الشرعية، أما العقيدة فهي التصديق الجازم ومحلها الصدور، فالحساب والعقاب يتناول الشك والارتياب فيها - كما بيناه سابقًا - أما الأحكام الشرعية فيما سوى العقيدة فقد تجاوز الله فيها عما يدور في النفوس ما لم يظهر على الجوارح بقول أو فعل ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾.

وهذه الآية ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ هي الناسخة لقوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ كما بينا سابقًا.

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي لها ما عملت من خير.

﴿وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ أي عليها ما عملت من شرّ.

وفي الآية تخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر ولهذا دلالة: فالاكتساب (افتعال) و(افتعل) أشدّ في الطلب من (فعل)، فكأنه لعلاقة الشر بالشهوات، وهو ما تستهويه النفوس؛ لذلك تجدُّ النفوس في طلبه أكثر من اهتمامها في الخير على نحو قول رسول الله ﷺ: «**حُفَّت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات**»[1].

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ هذا تكريم لرسول الله ﷺ والمؤمنين بأن علمنا دعاء نتضرع فيه إلى الله سبحانه بالمغفرة والرحمة والنصر، وهو ذو الجلال والإكرام سميع مجيب غفور رحيم.

أخرج الإمام أحمد من طريق أبي هريرة قَالَ: لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ... إلى أن يقول: فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ الآية.

ورواه مسلم ولفظه بعد ذلك: «ولما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ قال: نعم» وفي رواية قال: «قد فعلت»[2]. فهذا فضل من الله عظيم أن الله سبحانه علمنا ما ندعوه به وبشَّرنا بالإجابة «**قال نعم أو قال فعلت**» أي أجبت.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ وهي ضراعة إلى الله سبحانه أن لا يؤاخذنا بالنسيان والخطأ. وهذا يعني أن النسيان والخطأ في الآية يترتب عليه ذنب بدلالة الدعاء إلى الله سبحانه ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ﴾ المؤاخذة العقوبة، أي أن النسيان والخطأ في هذه الآية ليس هو النسيان والخطأ في حديث رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» أخرجه ابن ماجه[3] فالحديث يعني أن لا مؤاخذة على هذه الأمور، فكيف يكون ذلك؟.■ [يتبع]

---

١ مسلم: ٥٠٤٩، الترمذي: ٢٤٨٢، أحمد: ٧٢١٦، ٨٥٨٧، ١٢١٠١، ١٣١٧٧، ١٣٥١٩، الدارمي: ٢٧٢٠، ورواية البخاري «حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره» ٦٠٠٦

٢ مسلم: ١٧٩، أحمد: ٣٣٢/١

٣ ابن حبان: ٢٠٢/١٦، وصححه، الحاكم: ٢١٦/٢، ابن ماجه: ٢٠٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بُعِثَ النبيُّ ﷺ على أشدِّ حالٍ بُعِثَ عليه نبيٌّ من الأنبياءِ

- عن جبير بن نفير عن أبيه قالَ: جلسنا إلى المقداد بن الأسود ﷺ يومًا فمرَّ به رجل، فقالَ: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ واللهِ! لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت؛ فاستمعت - أي نفير - فجعلت أعجب! ما قالَ إلاّ خيرًا. ثمّ أقبل عليه المقدادُ فقالَ: ما يحمل أحدَكم على أن يتمنَّى مَحضَرًا غيَّبَه الله عزّ وجلّ عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه. والله! لقد حضر رسولَ الله ﷺ أقوامٌ - كبَّهم الله عزّ وجل على مناخرهم في جهنم - لم يجيبوه ولم يصدِّقوه، أو لا تحمدون الله إذ أخرجكم الله عزّ وجلّ لا تعرفون إلاّ ربكم مصدقين بما جاء به نبيُّكم ﷺ وقد كُفيتم البلاءَ بغيركم؟ واللهِ! لقد بُعث النبي ﷺ على أشدّ حال بعث عليه نبي من الأنبياءِ في فترة وجاهلية ما يرون دينًا أفضل من عبادة الأوثان. فجاء بفرقان فرَّق به بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتى إن الرجل ليرى والده أو ولده أو أخاه كافرًا وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النار فلا تقرّ عينه وهو يعلم أن حميمه في النار: وإنها للتي قالَ الله عزّ وجلّ: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤]. [أخرجه أبو نعيم في الحلية، والطبراني بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح وثقه الذهبي وبقية رجاله رجال الصحيح].

- وعن أنس ﷺ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «**لقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحد، وأُخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد، إلاَّ ما يواري إبْطَ بلال**» [أخرجه أحمد وابن حبان في صحيحه، والترمذي وقالَ: هذا حديث حسن صحيح] .

- وعن عقيل بن أبي طالب ﷺ قالَ: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب! إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيُسمعُنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفَّه عنا فافعل. فقالَ لي: يا عقيل! التمسْ لي ابن عمك، فأخرجته من كِبس [بيت صغير] من أكباس أبي طالب. فأقبل يمشي معي يطلب الفيء يمشي فيه فلا يقدر عليه حتى انتهى إلى أبي طالب. فقالَ له أبو طالب: يا ابن أخي: والله! ما علمت أن كنت لي لمطاعًا، وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تُسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكفَّ عنهم. فحلَّق ﷺ ببصره إلى السماءِ فقالَ: «**واللهِ، ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار**».

فقالَ أبو طالب: والله ما كذب ابنُ أخي قطُّ، ارجعوا راشدين. [الطبراني وأبو يعلى ورجال أبي يعلى رجال الصحيح]

- وعند البيهقي أن أبا طالب قالَ له ﷺ: يا ابن أخي! إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا، فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحمِّلْني من الأمر ما لا أُطيق أنا ولا أنت، فاكففْ عن قومك ما يكرهون من قولك. فظنَّ رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلِّمه، وأنه ضعف عن القيام معه. فقالَ رسول الله ﷺ: «**يا عم: لو وُضعتْ الشمس في يميني والقمرُ في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهِرَه الله أو أهلك في طلبه**» ثمّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى. فلما ولَّى قالَ له، حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: يا ابن أخي، فأقبلَ عليه ﷺ، فقالَ: اِمضِ على أمرك وافعل ما أحببتَ، فواللهِ لا أسلِّمُك لشيء أبدًا.

- روى الحافظ أبو الفرج بن الجوزي بسنده، عن ثعلبة بن صعير وحكيم بن حزام، أنهما قالا: لما تُوفي أبو طالب وخديجة - وكان بينهما شهر وخمسة أيام - اجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان، فلزم بيته وأقلَّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه، فبلغ ذلك أبا لهب، فجاءه فقال: يا محمد، اِمضِ لما أردت، وما كنت صانعًا إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه، لا واللات، لا يوصل إليك حتى أموت. وسبَّ ابن الغيطلة رسول الله ﷺ، فأقبل إليه أبو لهب فنال منه، فولَّى يصيح: يا معشر قريش، صبأ أبو عتبة، فأقبلتْ قريش حتى وقفوا على أبي لهب، فقال: ما فارقتُ دين عبد المطلب؛ ولكني أمنعُ ابن أخي أن يُضامَ حتى يمضيَ لما يريد، فقالوا: قد أحسنت، وأجملت، ووصلت الرحم. فمكث رسول الله ﷺ كذلك أيامًا يأتي ويذهب، لا يعرض له أحد من قريش، وهابوا أبا لهب إلى أن جاء عقبة بن أبي مُعيط وأبو جهل إلى أبي لهب، فقالا له: أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك؟ فقال له أبو لهب: يا محمد، أين مدخل عبد المطلب؟ قال: «**مع قومه**». فخرج إليهما، فقال: قد سألته، فقال: مع قومه. فقالا: يزعم أنه في النار. فقال: يا محمد، أيدخل عبد المطلب النار؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار**» فقال أبو لهب ،لعنه الله: واللهِ لا برحتُ لك إلا عدوا أبدًا، وأنت تزعم أن عبد المطلب في النار. واشتدَّ عند ذلك أبو لهب وسائر قريش عليه.

- وأما ما لقيه ﷺ بعد وفاة عمه أبي طالب، فقد روى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قالَ: لما مات أبو طالب، عرض لرسول الله ﷺ سفيه من سفهاء قريش فألقى عليه ترابًا، فرجع إلى بيته، فأتت امرأة من بناته تمسح عن وجهه التراب وتبكي فجعل يقول: «**أي بنية! لا تبكي، فإن الله مانعٌ أباكِ**». ويقول ﷺ ما بين ذلك: «**ما نالت قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب**» [أخرجه البيهقي]

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ لما مات أبو طالب تجهَّموا بالنبي ﷺ فقالَ: «**يا عم! ما أسرع ما وجدت فقدك**» [أخرجه أبو نعيم في الحلية]. ■

السعودية تعمل على محو تاريخها الثقافي الإسلامي الثري الممتد واستبداله بتاريخ قومي منقطع

أصدرت الكاتبة والمؤرخة روزي بشير كتابًا بعنوان: «حروب الأرشيف: سياسة التأريخ في المملكة العربية السعودية" ويعرض الكتاب للأساليب المنظمة التي انتهجتها الدولة العربية السعودية، والتي تأسست عام ١٩٣٢م، لإغلاق الباب في مناهج التعليم والمتاحف والأرشيف على الرواية التي لا تؤيدها الدولة لتاريخ هذه المنطقة، ولتنفض عن نفسها كل ما لا ينسجم مع الصورة التي تريد رسمها لذاتها، وخاصة ما يتعلق بالموروث التاريخي للدولة العثمانية، أو يتعلق بنشطاء ومفكرين من أصول غير عربية وردوا من جنوب آسيا ومن إندونيسيا وأثَّروا في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية في حقبة أواخر العهد العثماني ومطلع العهد السعودي في مكة، كخريجي المدرسة الصولتية ذات التاريخ والنشاط الثقافي الإسلامي وغيرها من المدارس، وتحدثت عن جوانب مدمَّرة لتاريخ السعودية الثقافي الثري، بما في ذلك إرث مكة المكرمة ومنطقة الحجاز. وذكرت أنه بعد حرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١)م، ذهبت الدولة إلى أبعد مدى في سبيل إنتاج وأرشفة وتخليد واستغلال سردية أكثر علمانية لتاريخ آل سعود، وعملت جاهدة على التأسيس لصناعة تراثية كلفت عدة مليارات من الدولارات، واشتملت على المتاحف ومراكز الأرشفة والمواقع التاريخية، وركزت على التدمير الفعال والإهمال المتعمد لمواقع وأماكن تاريخية بعينها نظرًا لأنها تناقض الرواية الرسمية لتاريخ المملكة. وقالت الكاتبة إن العشرية الأولى من الألفية الحالية شهدت هدمًا متسارعًا للمواقع المقدسة والتاريخية في قلب مكة واستبدالًا لتضاريسها التي تعود إلى ما يزيد عن ألف عام بناطحات سحاب مهيمنة من الفولاذ والزجاج. وبنهاية تلك العشرية كان وسط البلدة أشبه بموقع بناء متواصل؛ فكانت العشرات من المباني ذات الاستخدامات المتعددة قيد الإنشاء في محيط المسجد، وكادت الرافعات تسد الأفق في سماء مهد الإسلام بينما أطبق الضباب الدخاني بيديه على المسجد الحرام، وغدت مواقع الإنشاء ومعدات الحفر الثقيلة جزءًا من المشهد العام للمدينة، ناهيك عما ابتليت به من تلوث وضجيج لا يطاق. وفي الجانب الجنوبي تقبع حفرة عميقة تمتد على مساحة تبلغ ثلاثة كيلومترات مربعة، إنها الموقع الذي سيقام فيه مشروع الشامية، وهو بالضبط الموقع الذي بنيت فيه لأول مرة المدرسة الصولتية الأصلية إلى جانب مشروع جبل عمر... هذه العمليات تنفذ بدقة بالغة لإنتاج وحفظ تاريخ وإرث آل سعود في مدينة الرياض، على حساب التاريخ الإسلامي.

الوعي: الحكام من آل سعود علمانيون بعقال عربي وعباءة إسلامية، إنهم مشبوهون من مهدهم إلى لحدهم، وأقل ما يقال فيهم إنهم من قرن الشيطان، وقد جاءت الأيام لتفضحهم على رؤوس الأشهاد... وإن تأسف فإنما تأسف على علماء رضوا بأن تكون سياسة الحكم بأيدي الآل، وارتضوا طاعتهم على عماها، وتخلَّوا عن ميثاق ربهم الذي أخذه عليهم أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فسقطوا معهم... ولا حول ولا قوة إلا بالله. ■

مضاوي الرشيد: ابن سلمان يخشى أن يقتل داخل القصر

كتبت الأكاديمية السعودية المعارضة، المقيمة في بريطانيا مضاوي الرشيد، مقالًا سلَّطت فيه الضوء على مزاعم أطلقها الملياردير (الإسرائيلي) الأمريكي «حاييم سابان» من أن ولي عهد المملكة محمد بن سلمان متردد في المسارعة بالتطبيع مع (إسرائيل) بسبب خوفه من أن إيران أو قطر أو حتى «شعبه هو» قد يقتلونه، فردت أنه من المؤكد أن مصدر التهديد ليس أيًا من الدوائر الثلاث المذكورة. وشدَّدت على أن مخاوف ابن سلمان نابعة من داخل القصر.

وبخصوص التطبيع، قالت إن القضية الفلسطينية لم تكن مطروحة على طاولة الخلافات الداخلية بين أفراد العائلة المالكة، ولا يُعدُّ إقدام الرياض على إعلان التطبيع أمرًا في غاية الأهمية عندهم، وقالت إن محمد بن سلمان يمكن أن يكون ذا فائدة أكبر في عملية التطبيع مع (إسرائيل) دون أن تكون له علاقات معلنة ينجم عنها رؤية العلم (الإسرائيلي) يرفرف في سماء الرياض؛ إذ يمكن أن يعمل من وراء الكواليس، باستخدام نفوذه والوعد بإغداق الجوائز المالية لجلب المزيد من البلدان العربية وضمها إلى محور (إسرائيل) في المنطق،. وباستخدام مؤسساته الإعلامية لتقويض دعم الجمهور العربي للفلسطينيين، وصولًا إلى النقطة الحرجة التي يصبح فيها التطبيع السعودي أمرًا واقعًا لن يكلفه حياته أو ينال من شرعية النظام السعودي. وقالت إنه بطبيعة الحال يستمر الكثيرون في السعودية في معارضة التطبيع مع (إسرائيل) إلا أن هؤلاء يتعرضون بشكل تدريجي إلى ما يشبه التلقين المكثف حتى يقبلوا بالتطبيع.

وقالت: الحقيقة هي أن محمد بن سلمان يخشى أن يُقتل داخل القصر أكثر. فالسيناريو الأسوأ بالنسبة له هو أن يصبح الملك الذي دمَّر الإجماع داخل العائلة الحاكمة وأهان زمرة من الأمراء المنافسين له. فالشعب السعودي لم يسبق أن اغتال أحدًا من أفراد العائلة الملكية تاريخيًا. كل الاغتيالات التي وقعت داخل المملكة إنما نفَّذها أفراد من آل سعود. منذ القرن التاسع عشر. وذكرت أن آخر جريمة قتل وقعت تلك التي راح ضحيتها في عام ١٩٧٥ الملك فيصل حين أطلق عليه الرصاص ابن شقيقه، كانت كلها ببساطة عمليات قتل داخل العائلة، بحافز الانتقام، أو غدرًا وتنافسًا على السلطة داخل البيت الملكي. وذلك هو ما يخشاه بحق محمد بن سلمان؛ ولكنها قالت إنه لم يظهر حتى الآن من بين الأمراء من يعتقد بأن محمد بن سلمان يشكِّل خطرًا على العائلة، وإذا ما حدث ذلك فإن الأخطار ستتعاظم... ولكن أفراد عائلته قد ينفد صبرهم عندما يصبح ملكًا في نهاية المطاف. ■